مجلة الفاتح

مجلة علمية دينية
يصدرها معهد الشيخ الحاج مالك سي للدراسات الإسلامية والبحوث العلمية بتواوون .
السنة الأولى ـ العدد 01

المشرف العام :
الشيخ عبد العزيز سي الأمين

نائب المشرف العام :
الشيخ أبو بكر سي عبد العزيز الدباغ

رئيس التحرير :
خليفة لو

مدير التحرير :
مصطفى سي المدير

سكرتير التحرير :
عبد العزيز باه

هيئة التحرير :
الدكتور بشير انغوم ـــ الحاج مالك فال ـــ عبد العزيز صار ـــ امبي درامي ـــ عبد العزيز كيبي ـــ شيخ تجان فال ـــ أستاذ بامر انجاي ـــ بابا مختار كيبي -السيد أحمد سي عبد العزيز سي - الحاج مالك محمد المنصور سي - محمد الحبيب سي سرين عبد - السيد مور نيانغ

المخرج الفني:
أبو سير اندو
776543837

المراسلات:

B . P : 8 TIVAOUANE
TEL:(+221)339552655/(+221)339552020
(+221)775767594

المقر الرئيسي:
معهد الشيخ الحاج مالك سي للدراسات الإسلامية والبحوث العلمية، حي «بام» شمال المدرسة الثانوية الحكومية في تواوون.

كلمة العدد

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على رسول الله

بمناسبة صدور العدد الأول من «الفاتح» مجلة هيئة البحوث التابعة لمعهد الشيخ الحاج مالك سي للدراسات الإسلامية والبحوث العلمية، نود وبكل اعتزاز أن نقرر غير مبالغين ولا مجاورين لحدود الموضوعية بأنه انطلاقا من الأبحاث والوثائق العلمية، والأرشيفات الوطنية والأجنبية، فضلا عما ورد في كتابات العلماء، ودواوين الشعراء والأدباء، جاء وصف مدينة «تواوون» بالعلم والنور، والطيور الميامين، والجامعة الإسلامية العربية الشعبية التي تعج بكثرة علمائها، وطلبة العلم، وتروج أنواع المعارف رحابها؛ كما جاء الوصف بعاصمة الطريقة التجانية، متداولا في لغة الصحافة والإعلام، لأنها كانت تمتاز بتدريس العلوم وتلقين الأوراد معا. وأخيرا وليس آخرا ، شاعت على الألسن « تواوون « خير القرى والمدائن .

هذه أيها القراء الأعزاء دوّنها التاريخ في روائع سجلاته ، ونواصع صفحاته ، من أمجاد هذه المدينة، محددة بذلك معالم هوية المدرسة التواوونية؛ والتي ظلت ولا تزال الأجيال المتعاقبة تنهض بها منذ ما يقرب من قرن وعقدين من الزمن ؛ ابتداء من عهد المؤسس المبارك، وتلامذته ومقدميه المتفوقين في كل فن وفضل، ومرورا بالفترة الذهبية، التي تولى الخلافة فيها تباعا أبناؤه الخلفاء البررة الكبار، وهم: الشيخ الخليفة أبوبكر سي، 1885م 1957م والشيخ محمد المنصور سي، 1900م 1957م والشيخ الحاج عبد العزيز سي، 1904م 1997م رضوان الله تعالى عليهم أجمعين. وتنضاف إلى هذا جهود رموز العلم والأدب والفقه والربانية الذين تخرجوا في هذه المدرسة ومن بينهم الأسباط والأحفاد فامتد فضلهم وتسلسل عطاؤهم العلمي والتربوي والروحي والأخلاقي، من أقصى البلاد إلى أدناها، بل وإلى الدول المجاورة؛ غامبيا، وساحل العاج، والغابون على سبيل المثال لا الحصر.

تلك هي أيها القراء الأماجد بصفة أعم، وأحباب الزاوية المالكية التجانية بصفة أخص، مناقب حضارة، بناها آباء ورجال سلف، ولابد أن نستبقيها شامخة، تتحدى الزمن وذلك أضعف الإيمان لهذا الجيل ، إذا أراد أن يكتسب سمة الخَلَفِ .

وحرصاً منا على ألا تطوى هذه الصفحات المشرقة طي النسيان والإهمال، أو تنفرط بأيدينا سلسلة هذه الحلقات الذهبية ، وأداء لما يجب نحو تراثنا من البحث والتحقيق ، والنشر والتقديم ، يأتي ضمن أعمال هيئة البحوث التي يشرف عليها معهد الشيخ الحاج مالك سي للدراسات الإسلامية والبحوث العلمية إصدار هذه المجلة العلمية الهادفة إلى التعريف بالمدرسة المالكية التجانية ، احتفاءً بسير علمائها العاملين ، واستقراءً لإنتاجها الفكري وإبرازاً لمنهجها في التربية والتعليم والدعوة والإصلاح ، متوخين بذلك تقديم الكنوز التي ظلت ولفترة دفينة، إلى الجيل المعاصر على الوجه الأعم وإلى الجيل الصاعد بالوجه الأخص ؛ يتعرف على تراثه الثمين الذي يحمل في طياته صوراً رائعة من الحلول الأمثل لكل مشاكل الحياة وأزماتها المستعصية .

هذا وقد سعينا جاهدين أن تكون المقالات المنشورة ، متزودة ، بل ومتشبعة بروح الأصالة والمعاصرة أقلامُها ، علّها بهذه المواصفات تقوم بدور حسّانِ الحضرة المالكية أحسن قيام ، لتمثل علاوة على ذلك جسراً ، يربط ماضينا الأصيل الغني بالدروس والعبر ، بالواقع المعاش ربطاً محكماً، بناءً لمستقبل مشرق بالتقدم العلمي والفكري ، المحفوف بالاستقرار والرفاهية والازدهار .

وعلى الله قصد السبيل ، فنسأله التوفيق والتيسير ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الشيخ عبد العزيز سي الأمين
الناطق الرسمي باسم الأسرة التجانية المالكية

لمحة عن حياة وأعمال المصلح المجدد

الشيخ الحاج مالك «سي رضي اللّه عنه»

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رافع درجات العلماء القائل في محكم تنزيله : يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات» [1] .

والقائل أيضاً : «هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون»[2] .

والصلاة والسلام على النبيّ الأميّ الذي علّم البشريّة كلّها والذي قال الله في حقّه: وإن تطيعوه تهتدوا النور : 54 . وآله وأصحابه وخلفائه الذين آووه وآزروه واتبعوا النور الذي أنزل معه وأولئك هم المفلحون .

ورضي الله عن إمام المقربين وتاج العارفين مولانا وشيخنا الحاج مالك سي وآله وخلفائه ومقدميه ووسائله وعن كافة أولياء الله الكرام رضوان الله عليهم أجمعين .

أصبحت الحاجة ماسة في الكتابة عن حياة وأعمال علمائنا الأجلاء وزعمائنا الأعزاء الذين بفضل جهادهم المستمر، وكفاحهم المستميت ، انزاحت الحجب والغيوم المتلبّدة في الأجواء ، وحصحص الحق واتّضح أن الحق مهما كثر الصخب وعلت الضوضاء في الآفاق فإنه سيعلو .

يقول الله سبحانه وتعالى : «إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين»[3] .

وهذا النصر المبين الذي مازال يلوح في الآفاق يرجع إلى مواقف وقفها رجال عظماء وعلماء أجلاء ما زال التاريخ القديم والحديث يسجّل أسمائهم بمداد من الذهب في أنصع صفحاته. فكيف لا؟ وهم بما قدموا من جلائل الأعمال الصالحة ومن تضحيات في جميع المجالات يهون أمامهم كلّ شيء ويصغر أمام همتهم الخالدة، وعزيمتهم المضاءة كلما سوى الله سبحانه وتعالى.

و قد يما قيل: إن حياة الرجال العظماء تقاس وتوزن بقد ر تزودهم وتسلحهم بسلاح الإيمان بالله، ومدى استعدادهم للتضحية والفداء وخوض المعارك والحروب، ومواجهة الصعاب والمحن لتحقيق الحق، وإقامة العدل، ونشر السلام، ومحو الجهل والأميّة، وإزاحة الجور والمنكر والرزيلة، وإعطاء الحياة معناها الحقيقي حتى يستتب الأمن والاستقرار والطمأنينة والسكينة في القلوب والنفوس والأرواح .

نعم: إن أمثال هؤلاء الرجال هم أعمدة البناء الحضاري والصرح العمراني الذي مازال الإنسان يتلمس الطريقة لإقامته في كل عصر من العصور وفي كل مرحلة من مراحل تاريخ الحياة الإنسانية على سطح هذا الكوكب الأرضي .

يقول الله سبحانه وتعالى: «من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدّلوا تبديلا»[4].

والواقع يفرض علينا سرد سيرة هؤلاء الرجال الذاتية لما تتضمن من عبر ودروس للأجيال الحاضرة والصاعدة التي تعيش أمام موجات من الأفكار والآراء المتناقضة مع جذور تاريخها وتراثها الإسلاميين.

هذا ومن خلال سرد حياتهم يتعلم الجيل المسلم ويعرف كيف يعيش ويتعامل مع الحملات والروافد الفكريّة الهادفة إلى القضاء على روح الإسلام في نفوس أبناء المسلمين.

فحتى الرسول سيدنا محمد الأسوة الحسنة والمثل الأعلى في السموّ الروحيّ والكمال الإنسانيّ كان الله يأمره بالاقتداء بمن سبقه من الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام كما كان الله يقص عليه قصصهم ليصبر كما صبروا يقول الله سبحانه وتعالى: «فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل»[5] الأحقاف : 35. وقال أيضاً : «وكلاً نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين»[6].

وعلى هذا فإنه يسعدني غاية السعادة أن أبدي تأثري البالغ وأنا أقرأ بنهم وشغف الرسالة التي استلمتها من إدارة معهد الشيخ الحاج مالك سي للدراسات

1(ةةةةةةة:11)
2(ةةةةة:9)
3(ةةةةةةة: 128
4(ةةةةةةة:23
5(ةةةةةةة: 35
6(ةةة:120)

الإسلامية والبحوث العلمية والتي كلّفت فيها بكتابة مقال تحت عنوان : لمحة عن حياة وأعمال الشيخ الحاج مالك سي المصلح المجدد.

وأول ما انطبع في قلبي بعد قراءة الرسالة هو تخصيص الثناء والدعاء الخالص لأخي وحبيبي الشيخ المحترم السيد عبد العزيز سي الأمين الناطق الرسميّ باسم الخليفة العام للطريقة التجانية الشيخ المحترم السيد الشيخ أحمد التجاني سي حفظهما الله ورعاهما وكافة إخوتهما الكرام لما يقومون به من جهود جبارة لترسيخ دعائم المدارس القرآنية وركائز المعاهد الإسلامية في ربوع هذه البلاد .

فجزاهم الله عن الإسلام والوطن جزاء موفورا بحق : «والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين»[1]. وبحق قوله سبحانه : «إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً»[2] .

وليس من باب الصدقة أن يكون موضوع بحثي ومقالي حول حياة عالم صوفيّ ومصلح مجدِّد يحتلُّ في قلبي مكانة عظيمةً لأنني قد سميت به فكان ذلك نوراً وشرفاً لي ، ولأنني بعد تتبع مشوار حياته العلمية والدينية وسيرته الذاتيّة وأسلوبه الفريد في مواكبة الحياة الخاصة والعامة عرفت أنني أمام رجل عظيم وداعية كبير أفنى عمره الغالي في التفكير المثمر والإنتاج العلمي المستمر نثراً وشعراً ووعظاً وإرشاداً، وأمام مصلح مجدد أسهم إسهاماً فعّالاً في مجال الدعوة إلى الله بالعلم والتعليم والتزكية والتهذيب ، ونشر رسالة الإسلام الخالدة إلى كافة أنحاء المعمورة .

من هو الشيخ الحاج مالك سي رضي الله عنه؟

إنه البدر الذي ازدانت بولادته قرية «كايه» البعيدة عن مدينة « داكانا « ببضعة الأميال بمنطقة « والو « .

ولد سنة 1854 م من أب عالم ورع زاهد وهو الشيخ عثمان سي ومن والدة عابدة ورعة فانية في حب العلم وأهله وهي السيدة فاطمة ودّ ول .

وتربى وترعرع في جو مشبع بالفضل والصلاح وتفتحت براعمه في ظلال دوحة علمية باسقة ، فجال في مختلف أنحاء البلاد لإشباع رغباته العلميّة فدرس وتفقه وتضلع في كثير من فنون العلم والمعرفة وأجيز من طرف شيوخه حين أنسوا فيه النبوغ والتفوق والذكاء .

وفي عام 1889 م حجّ واعتمر ورجع إلى بلاده بعد أن اجتمع بكثير من العلماء الذين ناقشوه في شتى ميادين العلم فعلموا أنه ابن بجدتها وفارس حلبتها .وانتصب للتدريس والتكوين والتأليف والتوعية ودعوة الناس إلى الله وإرشادهم إلى كل ما فيه سعادتهم الدنيوية والأخروية .

ولقد كان منهجه في ذلك كله الوسطيّة والاعتدال والاتزان ضمن مقاصد الشريعة وأهدافها العامة القائمة على الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة ومراعاة الظروف والملابسات التي تتم فيها عمليّة الدعوة .

نعم: فهو إدراكاً منه أنه من ورثة الرسول الذين شرفهم الله بنور العلم والمعرفة فهم أن رسالته في هذه الحياة هي التركيز على تحقيق إنسانيّة الإنسان والعمل على إبراز القيم المثلى والصور الروحيّة الفضلى التي بها تتحقق الحياة الفاضلة السعيدة على سطح هذا الكوكب الأرضي وإلا انقلبت الحقائق والموازين رأساً عل عقب .

نعم: لقد عظم ارتياحي وأنا أمام رجل كرّس حياته كلّها في تحصيل العلم والتوعيّة الدينيّة والاجتماعيّة لأنه لاحظ أن أخطر داء ينخر كيان الأمة الإسلاميّة ويمزق أوصالها ويضعف معنويّاتها هو داء الجهل والأميّة .

إذا ما الجهل خيّم في بلاد
رأيت أسودها مسخت قرودا

وكان لزاما على العلماء والأعلام العاملين في مجال الدعوة والإرشاد أن يركزوا جهودهم على محاربة هذا الداء الفتّاك واستئصاله وذلك بإرشاد دعائم التربية الرصينة للفرد ، وإرهاف مشاعره وأحاسيسه وصقل مواهبه الفكريّة والعقليّة، وتحفيز ضميره الإنساني وتفعيل طاقاته الروحيّة الوهبيّة والكسبيّة حتى يكون فردا قادرا على التفاعل اللازم مع معطيات الحياة الحضاريّة و العطاءات الكونيّة والتطلعات الإنسانيّة من أجل إقامة بناء وصرح حضاري مناسب وجوّ فكري موات لتبليغ الرسالة الإلهيّة إلى كلّ أنحاء المعمورة .

وهذا ما لمسناه فعلا في كتابات هذا المصلح المجدد الذي له باع طويل في مجال توعية العقول التائهة الحائرة وتجديد رسوم الدين ومعالمه الحضاريّة وتزكية النفوس الغافلة عن ذكر مولاها إلى نفوس زكية راضيّة مرضيّة .

ولعل هذه الأبيات التي جادت بها قريحة ابنه ومريده الشيخ الحاج محمد الهادي توري في حقِّه ما يؤكِّد ما أشرت إليه من عظمة هذا العالم الداعيّة الذي شاع صيته في الأقطار والبلدان .

أتيت والدين يشكو وهو مغترب
إهانة و صدودات وعدوانا
فقمت مجتهدا في ذاك منفردا
بالله مستنجدا لله مولانا
مدرسا كلّ علم كان مندرسا
بين المدارس بيضانا وسودانا

فكان يرى أن خطورة الوضع وتأزمه وانتشار العادات السيئة، وتغلب الشهوات وقساوة القلوب ، وضعف الحياة الروحيّة، تفرض عليه أن ينفذ حياته إلى قلوب أبناء الأمّة ليغرس فيها شجرة الإيمان يانعة ومثمرة ، وإلاّ فإنّ العدوّ اللدود واقف بالمرصاد .

ومن هنا أعلن صرخته المدويّة قائلا :

ألا يا بني هذا الزمان دعوتكم
لإحياء دين بالعلوم أجيبوا
دعوتكم لله لا غير مطلبي
فعون إله العالمين حسيب

ونستنتج من هذا أن دعائم مدرسته ودعوته إلى الله قائمة على التعليم وتحصيل النشء، فكان يدرس ويدرس ويعظ ويوجه ويرشد ويربّي الأرواح والنفوس ويرقّيها إلى مقامات التحقق ، والتخلق بخصال الحبيب المصطفى محمد.

وكان يرى أنّ معالم الدين في هذا القطر الإفريقيّ المسلم تكاد تكون مندرسة ومنطمسة فقام ليقدّم لنا إصلاحات هادفة إلى إحياء هذه المعالم وتجديدها وإصلاحها .

وكان مفهوم التجديد عنده هو تجديد حال المسلمين، وإيقاظ هممهم، ولكنه لم يكن في وقت من الأوقات من دعاة التجديد الذين يريدون هدم كلّ شيء أو الإتيان بشرع جديد أو طمس الهوية الذاتيّة للفرد المسلم باسم التجديد.

والتجديد كما عبر عنه الدكتور

1(ööööööö:69)
2(ööööö: 30)

الشيخ يوسف القرضاوي مبدأ مشروع في الدين، وفي ذلك يقول : ((التجديد الحقيقيّ مشروع بل مطلوب في كلّ شيء، في الماديات والمعنويات في الدنيا والدين حتى وإن الإيمان ليحتاج إلى تجديد ، والدين يحتاج إلى تجديد)) .

وفي الحديث الذي رواه عبد الله بن عمرو مرفوعا: ((إنّ الإيمان ليخلق في جوف أحدكم كما يخلق الثوب الخلق فاسألوا الله أن يجدد الإيمان في قلوبكم)).

وفي حديث آخر عن أبي هريرة : ((إنّ الله يبعث لهذه الأمّة على رأس كلّ مئة سنة من يجدّد لها دينها)) رواه أبو داود في سننه والحاكم في مستدركه .

وكان يرى أن أحوال الأمّة العقديّة والإيمانيّة والاجتماعيّة تتدهور من يوم إلى يوم نظرا للابتعاد عن جوهر الدين ولبّ الشريعة السمحة .

فالخرافات والأباطيل والأوهام كانت سائدة، والآيات القرآنية تقرأ قراءة سطحيّة انتقائيّة تسلخها عن سياقها الحقيقيّ ورؤيتها الشاملة لتغطية كل حركات الوجود الإنسانيّ .

وبما أنّه لم يكن الداعيّة الذي يتخاذل عن أحوال الأمّة الإسلاميّة أو ينطوي على نفسه أو ينزوي في ركنه ، كان كلّما لاحظ انتهاكا لحرمات الدين أيّا كان مصدره إلاّ وأسرع في التنديد بذلك إما بيده أو لسانه أو قلمه السيّال إسهاما منه في تحقيق الوعي الدينيّ والثقافيّ وإعادة بناء الأفكار والعقليات العامة ، وإيقاف الزحف التنصيريّ والمد الاستعماريّ الذي كان يخيم على البلاد .

لقد استفاد من تجارب من سبقوه من أعلام هذه البلاد وعرف أن نجاحه في تبليغ رسالة الإسلام الخالدة مرتبط كلّ الارتباط بتقدير الظروف التاريخيّة والملابسات التي تمر بها البلاد آنذاك من حيث الضعف الإيمانيّ والركون إلى هذه الفانية ، وانتشار عبادة الطاغوت فرأى أن جهاده يجب أن ينصب على تحرير الناس من هذا الغزو الحضاريّ والمعرفيّ الزاحف وإيقافه قبل فوات الأوان .

ولقد فطن أن النجاح في هذا الميدان الوعر لا يكون بالمواجهة الدمويّة بقدر ما يكون بالتوعيّة وتزويد الناس بسلاح الإيمان بالله المتوطد في أعماق النفس وتحقيق الهويّة الذاتيّة .

وهكذا فتح مدارسه المنتشرة في طول البلاد وعرضها ليؤم إليها الناس من كل حدب وصوب فأصبحت حصونا وقلاعا وزوايا يوفد إليها الناي أبنائهم للتعلم والتزكي والتدرب على الصبر والثبات وطاعة الله والاستقامة والابتعاد عن أماكن اللهو واللعب والفسوق والعصيان.

ولقد قام بحملة تعليميّة ودعويّة مكثّفة كوّن بها أجيالا واعيةً وقادرةً على مواجهة جميع التحديات التي كانت سائدة آنذاك، ولم يكن في يوم من الأيام يملك سلاحا ولا بندقيّة غير إيمانه ومصحفه وسبحته ومكتبته العلمية الزاخرة بمختلف المراجع والمصادر التي كان يقتنيها من التجار المغاربة أو يستوردها من البلدان الإسلاميّة .

وتعالوا أيُّها القراء الكرام عشاق العلم وروّاد المعرفة إلى تذوّق حلاوة هذه القصيدة التي صور لنا فيها الشيخ صورة واضحة للأوضاع الحرجة التي كان الناس يعيشونها :

ألا إن أبناء الزمان تسابقوا
إلى زينة الدنيا ونيل علاء
لقينا زمانا لا يبالون صفوة
وما همهم إلاّ طوال بناء
زمان طموح العين دون قناعة
وما دينهم إلاّ احتياز ثراء
وقد جعلوا روم الهديّة حرفة
تهادوا بها سر عظيم غناء
وميزان داع للهدى رفع همة
عن الخلق كي يجني جميل ثناء
وما كان عيبا صار حسنا توافقا
لقد جلبوا للدين كلّ بلاء
ترى مسلما في بيع خمر محله
وبائع دين في اختلاط نساء
ورافعة صوتا وأصوات حليها
حرام سماع مثل شمس ضحاء
وآكل أموال اليتامى وتاركا
لوالده في فتنة وعناء
وتارك أوقات لخدمة شيخه
كعابد أصنام بغير مراء
هل الشيخ أعلى رتبة لنبيّنا
فجاهد صلاة الخوف غير خفاء
كفى زاجرا يلقون غيا وواعظا
لتأخير أوقات وترك أداء
وضامن جنات من المكر آمنا
وخسران ذي أمن شديد جلاء
ومن يدعي مهدية لاغتراره
وحمق وجهل حالبا لشقاء
وما كل سودا تمرة عند ذوقها
ولا كلّ بيضا شحمة بإخاء
ألا كل ذا قلب الحقائق فاعلموا
على مفتدى الهادي لزوم إساء
ألا نبهوا الأتباع كي لا تؤاخذوا
بما أحدثوا في الدين دون سواء
على كل متبوع دلالة تابع
لما هو أجدى لا لجلب عطاء
فتعليمهم فرض ولو بإجارة
وإلا عليك الإثم يوم لقاء
تفقهنا فسق بدون تصوف
وكل سائر التتميم دون مراء
وذي نبذة من أضعف الخلق خبرة
يروم من الإخوان حسن دعاء

وقال أيضا :

بحر الرياسة أخا الجهل عميق
الغرق الغرق يا ويح الغريق
كن خائفا إمامة الأوراد
مع العمائم بلا رشاد
تظن أن نيلك التقديما
أو العمامة كفى التقديما
فلو علمت ما حدود الشيخ لم
تفرح به قبل خلو قد ألم
يا جاهل الأمور فالتخلي
مقدم حق من التحلي
تطلب كل يوم الكرامة
ألم ترم من قبلها استقامة
وربّما تضمن استدراجا
كرامة لا تخطئ المنهاجا
من ذلك استجابة الدعاء
كراهة الصوت بلا خفاء
إن الجداول بها انجـــدال
ولتعن بالإخلاص يا جدّال
وفعل مأمور وترك ما نهى
فذلك الأسرار صاح انتبه
وما يقال إنها الأنوار مع
ترك صلاة فعل شيطان وقع
ومن دعا الحال وكان غافلا
عن التكاليف يكون جاهلا
نعوذ بالله من الجهاله
وما يؤديها بكلِّ ساعه

إلى أن قال :

وهم يظنون بأن الأَمْرَا
ينال بالجهل وقيت الشرّا
تعلموا ثم اعملوا لله=

ذاك طريق الكُبَرَا والله
لا تضربن بحديد بارد
إياك إياك من التحاقد

وقال أيضا :

ألا يا رسول الله كِلّي وجملتي
فإني في هذا الزمان غريب
أعاني حرارات الفؤاد لتنطقي
وقد زاد من ضيق الزمان لهيب
ولولا تمني الموت من فيك منعه
تمنيته إني إليه أتوب
زمان أناس في إماتة سنة
تمالوا وبث العلم فيه عيوب
دعاوى هي العلم المؤكد عندهم
ومنتسب للغير فهو لعوب
تفاضل طرق والجدال حديثهم
كما قال زروق جزاه مجيب
زمان بكى من قبله كبراؤنا
جنيد كذا الجيلي فحقّ نحيب
وقد فرقوا دين النبي شفيعنا
كأن لم يجئ نهي لذاك عجيب
وقد جعلوا العلم المكرم حاجبا
فقلت عن الجهل القبيح حجيب
وكم باطن يوم القيامة باطل
إذا لم يوافق ما أتاه حبيب
فإني رأيت البيض والسود كلهم
تداعوا لترك العلم ذاك مخيب

وبالرجوع إلى تأليفه القيم (كفاية الراغبين فيما يهدي إلى حضرة رب العالمين)، نجده يقول :

قلت : ومن أعظم المصيبة في هذا الزمان ظهور المتشيخيين الذين لم يبلغوا درجة العوام فإنه على الشيخ كما في روح الأرواح أن ينبه المريد على أن تعظيم كل المشائخ المحققين واجب واحترام المسلمين فرض، وأن من حقر طريقة غيره فقد حقر الإسلام وربّما جرّه ذلك إلى الكفر وهو لا يشعر فإنه يستحل الغيبة والحقد وتفريق المؤمنين ، فنعوذ بالله من الغرور ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

وإذا تقرر في الفقه أنه يحدث للناس أقضية حسب ما أحدثوا من الفجور فأقول:

إن الواجب على مسلم ترك كل شيخ يؤدي إلى الحقد والحسد والكبر أو إلى التفريق بين المؤمنين ويرجع إلى الحق ويتبع الشرع ، ويجب كل مسلم ويكره كل كافر ، ويعظّم كل طريقة وافقت الشرع ، ويحضر مجالس العلم وإن منعه شيخه لغلبة الجهل .

وفي شرح (تائية السلوك) لسيدنا الشرنوبي: فاعلم أنه لا يصلح للإرشاد إلا من كان على علم يهدي به العباد .

فإذا مرض مريده بسبب شبهة داواه أو تحير في مسألة من مسائل الفقه أفتاه من قناعة تورثه الغنى عن الناس .

إذا لم يكن في الشيخ خمس فوائد
وإلا فدجال يقود إلى الجهل
بصير بأحكام الشريعة عارف
ويبحث في بحر الحقيقة عن أصل
يبادر للورّاد بالبشر والقرى
ويخضع للمسكين في القول والفعل
فهذا هو الشيخ المعظم قدره
جدير بتمييز الحرام من الحلّ

وقال علي الخواص: ((لا يكون الرجل معدودا عندنا من أهل الطريقة حتى يكون عالما بالشريعة المطهرة مجمّلها ومفصلها ، وناسخها ومنسوخها وخاصها وعامها ومن جهل حكما واحدا منها سقط من درجة الرجال)) .

وكان سيد هذه الطائفة (الجنيد) يقول:

لا يستحق الرجل أن يكون شيخا حتى يأخذ حظا من كل علم شرعي، وأن يتورع عن جميع المحارم ، وأن يزهد في الدنيا وألا يشرع في مداواة غيره إلا بعد فراغه لمداواة نفسه وأن يكون على القدم المحمدي، والمريدون على قدم السلف الصالح وما ذلك على الله بعزيز .

ثم قال: وإياك ومتابعة من لم يكن على هذه الأوصاف فإنه من جنود الشيطان ، واعتبر أقواله وأفعاله وأحواله وزنها بميزان الشرع والطريقة ، فإن رأيت شيخا مخالفا لهما فردّه فإن كان صاحب حال وردته، فما عليك من ردّه بحكم الشرع ولا تتخذه شيخا ولا مرشدا .

فقلت :فانظر إلى ما صار إليه الأمر اليوم فإنا لله وإنا إليه راجعون .

وفي روح الأرواح أيضا ما نصه : ((فعلى من ابتلي بالمشيخة النظر في أحوال نفسه ، فإن علم من نفسه الاتصاف بالعلم والعمل كما بينا دعا من أحبه من المسلمين ونصح له ، وإن لم يكن عالما ولا عاملا وجب عليه تحصيل العلم والعمل ، وترك المشيخة ليسلم من وبالها يوم القيامة فإن الفاسق والجاهل بعيدان من الله فكيف يقربان غيرهما إليه)) .

أيها القراء الأعزاء :

يمكننا أن نلخص من هذه النصوص أن مولانا الشيخ الحاج مالك سي كان يرى أن أي تجديد أو إصلاح لا يتم إلا في إطار الرجوع إلى جوهر الشريعة الإسلامية السمحة والابتعاد عن الممارسات التي تملأ الساحة الإسلامية باسم التصوف والفناء .

ولقد سئل العارف بالله الشيخ محمد الحافظ التجاني هل تخالف الحقيقة الشريعة؟ فأجاب: ((من اعتقد أن الحقيقة تتنافى مع الشريعة فهو كافر لا يعرف الإسلام ، لأنه اعتقد أن ما جاء به النبي وعلمه الناس هو غير ما في الحقيقة الواقعة عند الله عز وجل ، وليس هناك كفر أقبح من ذلك ، ومن عبد الله وهذه بدايته فبداية سيره كفر فلن يزداد إلا كفرا)) أعاذنا الله من ذلك .

وفي تحفة السالكين للسيد محمد السمنودي : ولا يمكن الوقوف على أسرار الحقيقة إلا إثبات الأعمال المبينة ببيان صاحب الشرع ، فإن كل طريقة تخالف الشريعة باطلة وكل حقيقة لا يشهد عليها الكتاب والسنة فهي إلحاد وزندقة .

ويواصل قائلا :

((ثم اعلموا لا خيب الله رجائنا ورجاءكم ، وقهر لنا أعداءنا وأعداءكم أن من الأمراض التي لا طبيب لها الأكل بالدين الذي عمت به البلوى)) .

قال سيدنا الأخضري عاطفا على المحرمات:
((والأكل بالشفاعة أو بالدين)) .

قال الشارح عند ذلك المحل في عمدة البيان: قوله: ((بالدين)) كمن أظهر في نفسه التصوف فيعطي المال لأجل ذلك ويسمح له في شرائه وتشتري منه السلعة لأجل البركة، وهو فيما أظهر من نفسه على غير استقامة، وما أخذه على ذلك الوجه من المال فهو حرام)) .

قال سيدنا الجنيد: ((تعرفون بالله وتكرمون به كيف أنتم مع الله إذا خلوتم به ؟)) .

وقال الإمام الغزالي رحمه الله : ((لآكلها بالدف والمزامير أهون علي من أكلها بطريق الآخرة)) .أي بالدين .

ويواصل الحديث قائلا :

ومما عمت به البلوى أيضا في هذا

الزمان الرشوة التي سموها اليوم هدية وهي اليوم كما سيأتي رشوة .

إلى أن قال : ((فكل ما أتى من الأخ لأخيه على وجه الهدية والمواصلة لله من غير طمع ولا استشراف نفس فضلا عن السؤال فهو لا بأس به شريعةً وطريقةً إلى آخر كلامه)) فليراجع .

وأسأل الله أن يجعلنا من المتشبثين بأذياله الكريمة وأن ينفعنا بعلومه دنيا وأخرى إنه ولي ذلك والقادر عليه وهو على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير نعم المولى ونعم النصير .

وأختم هذه النبذة بالتبرك بهذه الأبيات التي قيلت في مديح أصحاب رسول الله راجيا من الله العلي القدير أن ينفعنا بحبهم وبحب سمي وشيخي الشيخ الحاج مالك سي عليه رضا العزيز المالك .

إن لله رجالا عظما
أيّدوا الدين ونالوا الكرما
شيدوا أركانه حتى سمت
وعلت فوق السماء عظما
بذلوا أنفسهم في نصره
ورضوا بالله ربّا منْعِمَا
جاهدوا في الله حق جهاده
ورضوا الإسلام دينا قيّما
وعلت في الله أنفسهم على
بيعة المختار حازوا نعما

فلله الحمد والشكر وله الفضل والمنة على ما أسدى من النعم الظاهرة والباطنة وصلى الله وسلّم على مولانا رسول الله سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وخلفائه وسلم تسليما كثيرا دائما أبدا إلى يوم الدين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

بقلم
الشيخ الحاج مالك سي بن الشيخ الحاج عبد العزيز سي الدباغ بمدينة تواوون المحروسة

لمحات عن خلاص الذهب في سيرة خير العرب

استجابة لنداء القرآن الداعي إلى محبة النبي وطاعته وامتثال أمره والتأسي به ، فقد اعتنى العلماء المسلمون منذ زمن بعيد بحياة النبي ، وأولوها اهتماما بالغا ، ومن هنا نشأ ما يسمى بفن ((السيرة النبوية)).

لقد ظل هذا الفن متطورا عبر القرون ومنسجما مع الأهداف التي كان يرمي أصحابها إلى تحقيقها. فمن هؤلاء العلماء من اهتموا تحديدا بناحية واحدة من نواحي حياته؛ فألفوا في مولده. ومنهم من تناولوا الوحي أو الدعوة أو الهجرة؛ بينما عني آخرون بغزواته وشمائله وغيرها من فضائله ومزاياه .

ويذكر منهم على سبيل المثال: البرزنجي (ت 1766/ 1179) مؤلف الكتاب المشهور؛ قصة المولد النبوي . والمناوي (ت 1627/ 1031) مؤلف الكتاب الشهير بعنوان: مولد المناوي . والنبهاني (ت 1920/ 1344) مؤلف الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية. وابن المهيب الوزير الأندلسي صاحب ديوان في مدح النبي . وابن كثير (ت 1372 / 713) مؤلف شمائل النبي . وابن عبد البر (ت 1070/ 463) الذي ألف في الغزوات . والشيخ الحاج مالك سي (1922/ 1853) مؤلف ري الظمآن في مولد سيد بني عدنان .

وعلاوة على ذلك قام بعض العلماء في وقت مبكر وعلى مر القرون بأبحاث طويلة وعميقة تناولت سيرة الرسول بكل جوانبها انطلاقا من مولده إلى وفاته ؛ بل حتى أبعد من ذلك . ومن هؤلاء أبوبكر محمد إسحاق (ت 151/ 867) رائد كتاب السيرة . ومحمد بن عمر الواقدي (ت822 / 207) مؤلف التاريخ الكبير . والقسطلاني (ت 1517/ 932) مؤلف كتاب المواهب اللدنية . والقاضي عياض (1149/ 544) مؤلف كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى . وزين الدين العراقي مؤلف كتاب ألفية العراقي . وكثيرة من الكتب التي تناولت السيرة النبوية؛ والحاج مالك سي على وجه التحديد الذي أشار في مقدمة كتابه الشهير ((خلاص الذهب في سيرة خير العرب)) إلى أنه استقى خصوصا لوضع الهوامش المادة العلمية من بعض هذه الآثار العلمية القيمة المستوعبة لكل حياة النبي .

ولتقديم المساهمة في إحياء السنة والتعريف بالرسول غرسا لمحبته في القلوب وفي الأرواح والأذهان ، وحب صحابته الكرام ، الذين وقفوا بجانبه وقفة رجل واحد منذ الساعات الأولى العويصة من ظهور الإسلام طبق الشيخ الحاج مالك سي كعادته منهجه الدقيق في البحث

فتوسع في جميع المصادر والوثائق ، وقام بالتحليل والنقد قصد تجاوز الخلافات المذهبية ، والوصول إلى الحقائق التاريخية. وهذا ما يتجلى بوضوح لمن يقرأ بتأن وتمعن ألفيته موضوع المقالة التي سماها (خلاص الذهب في سيرة خير العرب) . فهي بذلك خلاصة للسير الكبرى وثروة وثائقية بوأت هذا الكتاب مكانا عاليا من بين كتب السيرة المعروفة.

ونظرا لما تتميز به هذه الألفية فقد ارتفعت بمؤلفها العلامة إلى مستوى أعلام السيرة ، الذين كتبوا في حياة وآثار خاتم النبيين وإمام المرسلين .

ونظرا لإلمامه المتميز بمناهج التدريس والتأليف ، احترز الشيخ عند كتابة هذه السيرة النبوية الشاملة من التوسع بعمق في معالجة كل المسائل، فجاءت بعض الفصول في عشرة أبيات أو أقل ، وبعضها في أكثر من مائة بيت ، على أنه حريص في دراسته على عدم إغفال أي مستند تاريخي موثوق به . إنه يؤرخ الوقائع ويعد الأعداد لتسهيل معرفتها والإحاطة بها مع الاستعانة بالفهم العددية الأبجدية المعروفة بحساب الجمل.

وبفضل ما أوتي العلامة من المعرفة الواسعة بعلم العروض ، وتمكنه من ناصية اللغة العربية ، استطاع التغلب على كثير من الصعوبات التي يلاقيها دارس السيرة عند مطالعة الكتب المؤلفة في هذا الفن. ومن هنا استخدم ببراعة قيم الحروف الأبجدية لضبط التاريخ والعد والحساب دون الإخلال بالقواعد العروضية ، بل إن لجوء الحاج مالك سي إلى هذا النظام العددي أضفى على منظومته جمالا ورونقا وبهاء أثرت في المجتمع السنغالي ، وذاع صيتها فيه حيث يندر وجود أفراد لا يحفظون بعضا من أبياتها عن ظهر قلب ويتغنون بها بنغمات تأخذ بمجامع القلوب .

وكان الناس في السنغال قبل دخول الشيخ الحاج مالك سي في حلبة سباق التجديد الديني يحتفلون بذكرى مولد النبي في شكل مجالس ، وكانت العادة هي تنظيم حفلات للترنم بأناشيد دينية ، والتغني بالمدائح النبوية ، دون اللجوء إلى توضيح معانيها ، وشرح ألفاظها باللغة المحلية. وهذه المدائح كانت تستقى من الكتب المؤلفة في هذا الصدد مثل ((البردة)) للبوصيري و((الوسائل المتقبلة)) للوزير الأندلسي الكبير ابن المهيب و((مجموعة القصائد)) ؛ فجاء العلامة الحاج مالك بتحرير ألفيته خلاصة في السيرة النبوية ، تقع في ألف وثمانية وخمسين بيتا مقسمة على ثلاثين فصلا ، وكان لابد للعلامة من أن يستعمل لغة وشكلا مناسبين . وهذا ما تحقق باستعماله الشعر . علما بأنه ليس هناك أسلوب في تعليم العلوم العربية الإسلامية أفضل من المنظومة الشعرية التي استعملها مؤلفون مسلمون أسهموا على نطاق واسع ومتميز في نشر اللغة العربية والفنون الإسلامية. ويذكر منهم السيوطي وألفيته في علم مصطلح الحديث، والعراقي في السيرة، وابن مالك في النحو ، وعليّ فَيْ السنغالي الغامبي في النحو. إلا أن ألفية الشيخ الحاج مالك سي تنطوي على ميزة أخرى؛ تتمثل في إيراد كلمات وعبارات ذات مغزى ينشرها المؤلف في ثنايا منظومته عند انتهاء الأبيات، لغرض وعظ القارئ وإرشاده إلى الطريق القويم الواجب سلوكه في التخلق بأخلاق النبي الكريمة كالعدالة والصدق والتواضع وغيرها من مكارم الأخلاق كالحرص على طلب العلم ، والجد في البحث العلمي ، والاحترام للرأي الآخر.

إن المكانة المرموقة التي يحتلها النبي وتعاليمه في حياة مؤسس جامعة انجارد (1901/ 1895) قد دفعته إلى إحياء ذكرى مولد النبي لأول مرة في مزرعة انغامبو جل بمنطقة والو وذلك عام (1891) على الرغم من كونه آنذاك تحت رقابة المستعمر المشددة إحياء رمزيا كان يقوم به مع مريده أحد أقدم أتباعه ، وهو الشيخ الحاج روحان انغوم (1857/ 1854) في مجلس يمكثان فيه وقتا طويلا لقراءة القرآن الكريم وختمه ليلا .

وحينما خفت وطأة الإجراءات الإدارية الرقابية على الشيخ الحاج مالك واستقر به المقام في مدينة تواوون ، شرع في تنظيم مجالس تمتد لإحدى عشرة ليلة عند مستهل شهر ربيع الأول ، استعدادا لاستقبال ليلة المولد النبوي ، حيث تقرأ فيها قراءة جماعية بعد صلاة العشاء فصلا من الفصول العشرة المكونة لقصيدة البردة الشهيرة التي ألفها شرف الدين محمد البوصيري (1296 / 696) وفي الليلة العاشرة يتم الاحتفال بالليلة المولدية .

ولكون كبار أتباعه مكلفين بنقل الرسالة الإسلامية التي كان يقوم بنشرها الشيخ طيلة حياته ، فإن العلماء الذين كونهم والذين تلقوا منه هذه الرسالة قد قاموا هم أيضا بهذه المهمة ، كل في إطار القطر الذي عينه فيه بعد اكتمال تكوينه في "انجارد" أو " تواوون " . وكانوا علاوة على مهامهم الدينية ينشرون السيرة النبوية ويدرسونها اعتمادا على " خلاص الذهب " وبذا أصبح الكتاب يحتل مكانة الصدارة في هذه الحفلات التي يحمل مهمته خلفاؤه إلى يومنا هذا .

وهذه الثقافة النابعة من حب النبي عبر خلاص الذهب والتمسك بتعاليمه ما فتئت منذ أكثر من ستين عاما تتيح الفرصة في نهاية كل أسبوع في عدد من مدن السنغال وفي مدينة دكار على وجه الخصوص لتنظيم الاحتفال بذكرى المولد النبوي الشريف ليلا داخل سرادق منصوبة لهذا الغرض ، ومضاءة على امتداد شوارع المدن السنغالية .

وهناك كثير من العلماء من أتباع الشيخ الحاج مالك سي و غيرهم تخصصوا في شرح وتفسير " خلاص الذهب " باللغات المحلية وبروح العصر بفضل ما أوتوا من البلاغة في تثقيف الناس بالسيرة النبوية وتحبيبها إليهم ببراعة وامتياز . ونخص منهم بالذكر بعض أتباعه أمثال : الحاج أحمد سيس من قرية بير والحاج أحمد واد من قرية امبور والحاج إبراهيم ساخو من قرية انغابرو الخ .

وكل ما ذكرنا يعطي دليلا على أن "خلاص الذهب في سيرة خير العرب " قد دخل البيوت والمجالس العلمية التقليدية والنظامية، والأكاديمية، وأصبح جزء لا يتجزأ من التقاليد والعادات الدينية السنغالية منذ ما يناهز قرنا من الزمن .

تلك هي اللمحات التي حاولنا بها تسليط الضوء على " خلاص الذهب في سيرة خير العرب " وما من شك في قصور هذه اللمحة عن الوفاء بما تضمنته المنظومة من دلالات وانعكاسات على المستوى الديني والعلمي والثقافي والاجتماعي .

فجزى الله عن مؤلفه الشيخ العلامة الحاج مالك سي خير ما يجزى به المحسنين إنه عليم قدير ، وبالإجابة جدير ، وهو نعم المولى ونعم النصير.

بقلم الدكتور / روحان امبي

جوهر التصوف أخلاق وقيم

الحمد لله الذي منّ على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم، ويعلمهم الكتاب والحكمة، وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين .

وأزكى صلوات ربي ، وأصفى سلامه، وأنمى بركاته على مظهر لطفه وعين رحمته، المتربع على قمّة مكارم الأخلاق وذروة محاسنها ، سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه الذين يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن اهتدى بهديهم إلى يوم الدين حقّ قدره ومقداره العظيم .

التصوف في جوهره

إن التصوف في حقيقته وجوهره بعيداً عن اختلاف الباحثين في اشتقاقات كلمته قيم وأخلاق، يمثل الإحسان في أعلى صوره، وأبهج مظهره، وحقيقته، حسب تعاريفه عند القوم، التي تربو ألفين ، وكلها تنتهي إلى الأخلاق والقيم ، وكلها صدق وتوجّه إلى الله تعالى .

الصدق الفلسفي: هو مطابقة الخبر للواقع . بينما الصدق عند الصوفية: هو مطابقة الظاهر للباطن ؛ مطابقة اللسان للقلب. ألا يكون هناك تناقض بين المؤمن وإيمانه ولا بين الإنسان ومواقفه، وكلما ازداد التوافق بين الإنسان ومبادئه الإيمانية ازداد صدقا. ولذلك يقول الرسول "ولا يزال العبد صادقا ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا " وألا يكون بين عقيدة المؤمن وسلوكه فجوة . ومما روي عن ابن مسعود عن النبي قال : "عليكم بالصدق فإنه يقرب إلى البر والبر يقرب إلى الجنة وإن العبد ليصدق فيكتب عند الله صديقا ، وإياكم والكذب فإن الكذب يقرب إلى الفجور والفجور يقرب إلى النار وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا " .

ولذلك يقول الشيخ الحاج عمر الفوتي " إن أول قدم للمريدين في هذه الطريقة ينبغي أن يكون على الصدق ، والصدق عماد الأمر وبه تمامه وبه نظامه وهي تالي درجة النبوة؛ قال تعالى: «فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين»[1].

_ والصدق استواء السر والعلانية.

1(ةةةةة: 69)

والصادق من صدَق في قوله وأفعاله، والصديق من صدق في جميع أقواله وأفعاله وأحواله ، ولذلك من أراد معية الله تعالى فليلازم الصدق .

ومعنى الصدق أول شيء يضع المريد قدمه عليه : أن الصدق أول خطوة يخطوها المريد في سيره إلى الله . وأنه هو الأرض الصلبة التي يتمكن بها المريد للوصول إلى الله تعالى وإلى ذلك يشير الشيخ الحاج مالك سي بقوله :

والصدق فهو زينة المُريد
أعاذنا الله من المَريد

الصدق مع الله تعالى ، والصدق مع النفس ، والصدق مع الآخرين من أسمى القيم الروحية والأخلاقية والاجتماعية .

والتوجه إلى الله تعالى يتضمن فرار العبد إلى الحق سبحانه وتعالى ، والزهد عما في أيدي الخلائق ، والرضا بما قسم الله وقضى وقدر ، والاكتفاء به والالتجاء إليه ، والتوكل عليه ، لقوة يقينه بأن ما عند الله خير وأبقى ، وأنه لطيف رحيم رؤوف بعباده ، وهذا من أهم وسائل تحصيل سلامة القلب وصحته التي بها النجاة والسعادة الأبدية .

وأسمى القيم التي تستطيع البشرية معرفتَها تتمثل على عناصر ثلاثة :

أولا : التوجه الكلي إلى الله سبحانه وتعالى .

ثانيا : الصدق المتمثل في تطابق هذا التوجه مع ما أمر الله به والكيفية التي أمر بها والصدق الذي رسمه لهذا التوجه.

ثالثا : انحصار هذا التوجه في تحصيل مرضاة الله تعالى . ولرضوان من الله أكبر.

يقول الشيخ الحاج مالك سي:

صدق التوجه في إرضاء خالقنا
معنى التصوف لاما ظنّ ذو رَعَنِ

إرضاء الخالق بالاعتقاد الجازم الصافي، إرضاءه بأداء العبادات على الوجه الذي يتحقق فيه الإخلاص المفهوم من قوله تعالى: «وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة»[2].

_ **التصوف هو الإحسان**

2(ةةةةةة:5)

والإحسان هو القسم الثالث من أقسام الدين الإسلامي الثلاثي على ضوء حديث جبريل ، أو الحوار التعليمي اللطيف الذي دار بينه وبين الرسول الكريم.

فالإسلام وهو الجزء الأول منه عبارة عن أعمال الأعضاء الظاهرة: النطق بالشهادتين ، والصلاة ، والزكاة ، والحج .

والجانب الثاني هو الإيمان هو أعمال الأعضاء الباطنة: القلب، والعقل ، والفؤاد، واللب؛ وهي القواعد الإيمانية التي تمثل الاعتقاد الجازم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر شره وخيره .

والإحسان وهو ثالث الأقسام وآخرها: أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك. فهذا القسم يحتوي على أجزاء :

أولها : معنى اسم الجلالة وما تحته من الصفات العليا والأسماء الحسنى .

ثانيها: العبد ، والعبادة والعبودية .

ثالثها: العلاقة بين العبد وربه .

رابعها: شمولية العبادة لجميع توجهات العبد وربه .

خامسها : مراقبة العبد لمولاه في هذه العبودية الشاملة ، والعبادة الجامعة.

سادسها : انقسام المراقبة إلى مستويين:

أ) مستوى المشاهدة لجلال الله، والمعاينة لجماله ، والمكاشفة لكماله .

ب) مستوى التفكر في جلاله، والتأمل في جماله ، والتدبر في كماله، لكمال اليقين بأن الحق سبحانه يراه في كل لحظة من لحظات وجوده ، وفي كل حركة من حركاته «ألم يعلم بأن الله يرى»[3] .

لا تغيب عنه غائبة ، ولا تخفى عليه خافية؛ «يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور»[4].

«وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين»[5] .

_ والقسم الأول من أقسام الدين

3(ةةةةة:14)

4(ةةةة:19)

5(ةةةة: 61)

الإسلامي الثلاثة تولى بيان أحكامه، وتفاصيل مسائله فقهاء الأمة الكرام وهو المعبر عنه بعلم الشريعة أو علم الفقه .

والقسم الثاني تولى بيان أصوله وفروعه ومباحثه علماء التوحيد، والمتكلمون، وهو المعبر عنه بعلم العقيدة.

أما القسم الثالث فقد تولى بيان ينابيعه ومشاربه العلماء العارفون المحققون، فيعبرون عنه بالسلوك تارة، وبالزهد والرقائق ، أو الأخلاق، وتارة أخرى باسم جامع يصطلح عليه بالتصوف. وهو مصطلح خاص ، ولا مشاحة في الاصطلاح. وهو يمثل منزلة الإحسان الذي لا تتم عبادة ، ولا تكون لها ثمرات ولا عظمة شأن إلا به .

ولا تصح عقيدة ولا تنتج إلا إذا وصلت إلى المستوى الإحساني . وإلا تكون العبادة حركات مجردة ، والعقيدة أفكاراً وأقوالاً وتصوراتٍ .

فالصلاة المتأسسة على الإحسان تعود ثمراتها على قلب المصلي دواءً وعلاجاً، وتقويماً وهدايةً «إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر»[1].

والصلاة الخالية من هذه المنزلة تخلو من كل الثمرات ، ويبقى قلب المصلي مصابا بأمراض وعلل : الأمراض القلبية والروحية والأمراض الأخلاقية والنفسية والاجتماعية : «فويل للمصلين * الذين هم عن صلاتهم ساهون * الذين هم يراؤون* ويمنعون الماعون الماعون»[2]. فيصاب المصلي بأعقد الأمراض الروحية والقلبية وهو: الرياء (الشرك الأصغر) ، وتتولد منه سلسلة من الأمراض والعلل تفقد القلب سلامته. فيصاب بأمراض اجتماعية أخلاقية نفسية معقدة تتمثل في مرض الأنانية التي لا يتجادل اثنان في خطورتها الاجتماعية. وكذلك جميع أركان الإسلام إذا خلا أداءُها من الإحسان لا تتأتى منه ثمرات ولا نتائج طيبة بل تكون فارغة خاوية . تكون حركات عادية، تقليدية ، تلقائية، أوتوماتيكية كالشريط المسجل .

مكانة علم التصوف بين العلوم

صحيح لكل العلوم الإسلامية هيبتها ومكانتها في القلوب ، إلا أن لكل منها مجاله واختصاصه :فعلم النحو يعصم اللسان من الخطأ في التعبير . بينما علم المنطق عاصم للعقل من الخطأ في التفكير . و علم الفقه لبيان قواعد العبادات ، والمعاملات ، والأحوال الشخصية ، والعقوبات الشرعية، وما رافق ذلك من الأحكام والمسائل. و علم التوحيد لبيان القواعد العقدية، والأحوال الإيمانية. في حين أن علم التصوف للوقوف على أسباب سلامة القلب، والعوامل المؤدية إلى صحته . وللوقوف على أمراض القلوب وعلاجها ، ودسائس النفوس وتزكيتها . ولوضع قواعد السلوك ، وسبل الفرار إلى الله سبحانه وتعالى والمجاهدة فيه .

فهو العلم المختص بالنفوس والقلوب والأرواح . فيبين مكارم الأخلاق ومحاسنها، وكيفية تحصيلها.

فالتصوف هو الظرف الآمن لتلك القيم، والوعاء الضامن لتلك الشيم. وهي ثمرات العبادات والمجاهدات ونتائج المراقبات و المحاسبات .

ومن خلال المجاهدات والمراقبات والمحاسبات يتخلى العبد السالك عن الأخلاق المذمومة ويتحلى بالقيم المجيدة، والشيم الحميدة ، فتصفو طويته، وتطيب أخلاقه ، وتقوى نسبته إلى ربه ، وتتحقق عبوديته ، وتحسن علاقته بالعالم الأجمع.

بقلم الدكتور / محمد بشير انغوم
مدرس علوم التفسير والسنة والأحوال الشخصية
كلية الدعوة الإسلامية فرع " بير "
جمهورية السنغال

1(ةةةةةةة:45)

2(ةةةةةةة: 5-7)

تدشين المكتبة العلمية الجديدة في الحضرة المالكية بتواوون

في مساعيه المتواصلة لخدمة العلم وطلابه في مدينة تواوون وما جاورها، أقدم -مشكورا- صاحب المشيخة الشيخ عبد العزيز سي الأمين، وبإذن من الخليفة العام، وتنسيق تام مع أشقائه من الأسرة المالكية على التبرع بمكتبة زاخرة وكبيرة، بالمراجع الهامة والقوائم النادرة بالكتب القيمة، في مسعى منهم لتزويد طلبة العلم وعشاق المعرفة والباحثين، بالمراجع والكتب الضرورية لتوسيع معارفهم وتعميق دراساتهم الأكاديمية، وتقع هذه المكتبة في المبنى الكبير الواقع في الجهة اليمنى من مسجد الشيخ الخليفة بتواوون، وتضم هذه المكتبة الجديدة بالإضافة إلى الكتب الدينية واللغوية في شتى المجالات وكافة الفنون، قاعة حديثة مزودة بأجهزة حاسوبية وبأحدث الأنظمة التشغيلية وأفضل البرامج والموسوعات العلمية، من أجل تسهيل سبل الحصول على العلم والمعرفة للباحثين وطلبة العلم، كما أن المكتبة مجهزة تجهيزا كاملا بالمعدات المكتبية اللازمة من كراسي الجلوس وطاولات القراءة ومكيفات الترويح لجعل المكوث والإقامة في هذه المكتبة لمرتاديها راحة ومتعة، تضاف إلى متعة التزود بالمعرفة والعلم في هذا المنهل الدائم للمعرفة.

وقد ألحق بالمكتبة قاعة للمحاضرات لتمكين المشرفين على إدارتها على تنظيم جملة من اللقاءات الثقافية والندوات الفكرية بشكل دائم ومستمر لطلبة العلم، وللتذكير فهذه المكتبة العلمية الجديدة المفتوحة حديثا قطرة من بحر المشاريع الكبيرة التي أقامها ولا زال يقيمها فضيلة الشيخ تخليدا وأسوة بالسلف الصالح من أجداده وآبائه الذين جعلوا من تواوون منهلا يتوافد إليه طلبة العلم والباحثون عن المعرفة من كل بقاع السنغال، ومن دول المنطقة المجاورة.

ومن باب رد الجميل والاعتراف بالأيادي البيضاء، فلا يساورنا شك بأن الشيخ وضع في أيدي الطلبة آداة هامة سيستفيدون منها في ترقية مستواهم الفكري، وتنمية ثروتهم الثقافية، وإغناء رصيدهم المعرفي.

فجزى الله الشيخ عبد العزيز سي خيرا كثيرا عن كل حرف مقروء من كتب هذه المكتبة، وجعل الله في ميزان حسناته كل علم نافع استزاده طالب علم من اطلاعه على هذه الكتب الموفرة.

الأستاذ : عبد العزيز باه

"يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه"

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . ورضي الله عن القطب المكتوم السيد الشيخ أحمد التجاني وسائر خلفائه ومقدميه إلى يوم الدين .

إن التصوف ـ رغم تعدد آراء العلماء واتجاهاتهم في اشتقاق لفظه ـ علم يعرف به كيفية تصفية الباطن من عيوب النفس وصفاتها الذميمة التي تسدّ أمام السالك طريقة السير إلى الله ؛ كالحقد والحسد والغش وطلب العلو وحب الثناء والكبر والرياء والغضب والطمع والبخل وتعظيم الأغنياء والاستهانة بالفقراء وما على ذلك من الكدورات والرعونات النفسية. ذلك، لأن علم التصوف يطلع على العيوب وكيفية علاجها ، فيه يتوصل إلى تخلية القلب من غير الله تعالى وتحليته بإفراد الله بالطاعة والقصد والإخلاص الذي هو روح العمل ، قال السيد بن عطاء الله :

(الأعمال صور قائمة وأرواحها وجود سر الإخلاص فيها). وقال السيد الحاج مالك سي تعريفا للتصوف :

صدق التوجه في إرضاء خالقنا

حد التصوف لاما قال ذو الرعن.

فالحد عند علماء المنطق يدل على كنه الشيء وما صدقيته فيفهم من ذلك أن التصوف هو صدق توجه الإنسان إلى إرضاء خالقه في كل ما هو فيه من فعل أو ترك .

ورد في تاريخ العلامة بن خلدون أن هذا العلم من العلوم الشرعية الحادثة في الملة وأصله أن طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم طريق الحق والهداية ، وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها ...

واعتنى به ذوو البصائر الذين تأملوا كسرة باء البسملة التي تشير إلى أن المنكسر المتواضع أحق بالتقديم فانكسروا وتواضعوا لله سبحانه وتعالى فرفعهم ووضعهم على الأمة إلى يوم القيامة وهم القادة الربانيون والأئمة الهادون المنقذون من الضلال الدالون على منهج الله القويم وصراطه المستقيم ، هم نواب الرسول القائمون عنه بكمال الرعاية وحسن السيرة، المتخصصون بتحقيق قدم المتابعة له في مقام الدعوة إلى الله على بصيرة .

نشأت مدارس تهذيب النفس المعروفة بالطرق الصوفية لحرص مؤسسيها على حماية الفطرة الإنسانية والحفاظ باستمرارية نقاوتها الأصيلة مبنية على أقوى أسس من الكتاب والسنة ، قال الإمام جنيد : الطريق إلى الله مسدود على خلقه إلا على المقتفين آثار رسول الله ، ومن لم يحفظ القرآن وكتب الحديث لم يقتد به في هذا الأمر لأن علمنا مقيد بالكتاب والسنة .

فهذه الطرق كلها متجهة إلى هدف موحد وهو تحقيق توثق الإنسان وارتباطه بخالقه العظيم وإزاحة ستار الهوى والنزغات الشيطانية الكثيف المانع من يقظة القلب وانتباهه لاستقبال نور الإيمان واليقين، والحب الصادق والتوحيد الصحيح لله سبحانه وتعالى. هذا مع الوضع في الاعتبار أنها تختلف أحيانا في بعض الشروط والمناهج التربوية الأمر الذي قد يصل إلى إنكار بعضهم البعض ، بيد أن ذلك يرجع

إلى تباين الأذواق والمشارب .

تعال معي أيها القارئ الكريم نقف وقفة تأمل أمام البيان الوافي الذي جادت به قريحة السيد الحاج مالك سي توضيحا لهذه المشكلة حيث قال :

والخلف في الطرق وفي المذاهب
تباين الأذواق والمشـــارب
لذاك بعض الأولياء ينكر
بعضا وما عليه إثم يـؤثـــر
إذ كل واحد يفيض الله
عليــه ما لم يعط ســواه

إلى أن قال :

ونحن محجوبون لا تليق إلا سكوتنا كذا التصديق.

قد اتضح عبر هذه الأبيات أن اختلافات مشايخ الطرق الصوفية ترجع إلى ما ترجع إليه اختلافات أئمة المذاهب الفقهية في نتائج اجتهاداتهم ، نتيجة تغاير الفيوضات والخصائص العلمية التي يمن بها الله على من يشاء من عباده . فعلى كل من لم يصل إلى مستويات أولائك الأعلام ولم يبلغ درجاتهم أن يحذر الحذر كله من الإنكار أو توجيه النقد إليهم ، لأن من أصيب بمرض عطل جهاز شمّه لا ينبغي أن يعيب العطر الفواح والمسك الزكي :

متى تكون يا أخي مزكوما
فلا تعب مسكا تكن سليما ،
وهم كزهر الروض للنظار
من حسن غضه بلا إنكار .

قد شبه الأولياء الكرام وتنوع توجيهاتهم في الفكر والإرشاد بربيع ممرع ورياض غناء مغتصة بأشجار ذات زهور متنوعة الأشكال والألوان يقف أمامها الناظرون يتعجب كل فرد بما يروق له من تلك المناظر البديعة الدالة على قدرة مبدعها سبحانه وتعالى.

التجانية:

طريقة ذات مكانة عالية ورتبة سامية في التصوف الإسلامي لمزايا عديدة يعسر حصرها في مقال كهذا ولكن سنستعرض منها بعض النقاط للاستدلال والتمثيل :

1 ـ امتياز أهلها بالانتماء الحقيقي إلى إمام حضرة الأنبياء سيدنا محمد الأمر الذي أدى إلى تسميتها بالطريقة المحمدية والأحمدية كما تدعى أيضا بالطريقة الإبراهيمية والحنيفية لحيثيات يقف عليها المستزيد عندما يرجع إلى كتب السادة والأعلام .

2 ـ صدق تمسك كافة أئمتها واعتصامهم بالقرآن والسنة وانبثاق جميع توجيهاتهم منهما حيث لا ينفك أخدهم بشد انتباه أتباعه إلى المزيد من العناية بالقرآن والصلاة على النبي .

هذا سيدنا الشيخ الحاج عمر يقول للتحدث بالنعمة: إن الله تعالى منّ عليّ بمعرفة اسمه الأعظم الكبير إلى أن قال : وأنه لا يطلع الله تعالى عليه إلا من اختصه بالصحبة واصطفاه بالعناية الأزلية وأن من عرفه وترك القرآن والصلاة على النبي واستشغل به يخاف عليه من الخسران دنيا وأخرى .

وهكذا كانوا وقد وصلوا إلى المنتهى وأقصى الغايات لتقدير شأن القرآن وتعظيم حرمته ، ولغرس محبة النبي وتعميقها في قلوب المؤمنين وخاصة منهم المتقيدين بشروطهم الشرعية الواضحة الغنية عن الشرح والبيان. وهذا الاهتمام بهذين المصدرين للتشريع الإسلامي يقتضي ويستتبع القيام بالتطبيق العلمي لكل ما يحتويانه من الأحكام ، وذلك هو الذي قد وقع في الحقيقة لقادة هذه الطريقة وروادها .

إن التربية في هذه الطريقة جارية على نهج السلف الصالح ، وهو عبارة عن الشكر والفرح بالمنعم سبحانه وتعالى والرياضة القلبية بصرف النظر عن الالتزام بالتضييق على النفس وبالتقشف والاستخشان في المأكل والملبس والكد والتعب من غير التفات إلى أحوال القلب .فإصلاح القلب وتطهير النفس هو المقصود بالتربية ، وذلك يتحقق بإقامة الورد المعلوم الأحمدي السر والتركيب،

وكذلك سائر الأذكار اللازمة كالوظيفة والهيللة بعد عصر الجمعة ثم آكد الشروط وأعظمها هو المحافظة على الصلوات الخمس بآدابها على حدودها المحدودة لها شرعا ، وأضف إلى ذلك عمارة الأوقات والساعات قدر المستطاع بالصلاة على النبي خصوصا بصلاة الفاتح لما أغلق ، والسير فوق هذا المنهج هو سير القلوب ، ولكن يمكن للمقدم المربي توجيه أحد مريديه إذا دعت الضرورة إلى ذلك واقتضته قرائن الأحوال نحو الخلوة والمجاهدة النفسية والصمت والاعتزال مما دلت عليه السنة المطهرة من سني الخلال وأكدته توجيهات السيد الشيخ أحمد التجاني خلال الرسالة التي وجهها إلى أحد فقهاء (زرهون) فليراجع ذلك في محله .

من المشاهد الغنية عن البرهان أن الطريقة التجانية امتدت جذورها الراسخة وفروعها الظليلة في شتى أرجاء الدول لتميزها بأكابر العلماء ومنتجاتهم العلمية الغالية حيث لا تكاد تنزل أيها القارئ الكريم في دولة فيها مسلمون إلا وتسمع أن هناك مقدما يزار ويستفاد منه أو زاوية أقامها أبناء تلك الدولة أنفسهم .

أخيرا إن مكانة الطريقة تضعف المجلدات وتضيق عن وصفها ، فكيف يبرزها مقال بسيط كهذا ،وشكرا .

الأستاذ الخليفة لو
المدير المكلف بالعلاقات الخارجية في معهد الشيخ الحاج مالك سي رئيس تحرير المجلة.

CHER LECTEURS

Nous nous excusons de ne pouvoir traduire les textes en français pour ce premier numéro, compte tenu du temps court dont nous disposons, Mais nous veillerons la prochaine fois de faire toute les traductions nécessaires.

Le Rédacteur en chef

التآخي بين الطرق الصوفية

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين و بعد :

إن التصوف الإسلامي كمدرسة تطبيقية لروح الشريعة الإسلامية ومبادئها لا يُهمل أحد أبرز سمات الإيمان بالله ، وأحد أبرز مصادر القوة لدى المؤمنين ثم يكون له مصداقية أو رؤية صحيحة في دعوته إلى تطبيق أصول ومبادئ الدين الإسلامي الحنيف تطبيقا عمليا بحافز الإيمان بالله ومحبة عباده يقول رسول الله: « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل جسد إذا اشتكى منه عضو تدعى له سائر الأعضاء بالسهر و الحمى » ، ويقول عز من قائل : إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص الصف : ٤ .

والواضعون للقواعد الكلية لعلم التصوف لا يسعهم وهم العارفون بالله وأولياءه والمتقيدون بكتابه وبسنة نبيه الكريم لا يسعهم الخروج عن القاعدة الإخوانية التي تربط بين أفراد الأمة الإسلامية جمعاء، بل إن التآخي في الله أصبحت في قاموس مفردات علم التصوف ، من الكلمات الأكثر تداولا في ألسنة أهله حيث يرى شيخ الطريقة أن المريدين إخوة له، ويرى بعضهم أخا في الله لبعض ، ويتنادون بينهم باسم أخي في الله . والأمر يتجاوز هذا الحد ليصل إلى حد أبعد منه، حيث يعتبر الصوفي أن الصوفي أخوه، سواء ينتمي إلى طريقته أو إلى غيرها من الطرق . لذا ترى الطرق الصوفية تلتقي في ندوات عالمية مرة في المغرب، ومرة في ليبيا ، وأخرى في تركيا أو في بلد آخر للتعارف فيما بينها والتقريب بين وجهات نظراتها ، ودفاعا عن مبادئها :

أخاك أخاك إن من لا أخا له
كساع إلى الهيجا بغير سلاح

وإنك لتجدها بين الجمعيات الإسلامية وحتى مع أصحاب الملل الأخرى تشارك مشاركة فعالة وتبلى بلاء حسنا، تسدي وتلحم إن جاز التعبير، تعطي وتأخذ ، تطرح وتحلل إيمانا بالأخوة الإسلامية العامة التي تذوب فيها نفسها ذوبان الملح في الماء علما بأن المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ...

إذا كانت الطرق الصوفية هكذا مع غيرها في المحبة والاندماج وحسن الجوار والتعايش السلمي الذي هو من مميزات هذه الطائفة الفاضلة، فلا تسأل كيف ستكون مع نفسها؟ أتصادقها وتتعاطف معها؟ أم تعاديها وتناهضها؟ وهي الأقرب إلى بعضها وتجمعها قواسم مشتركة عديدة وليس بينها اختلاف جوهري سوى التعددية الموجودة فيها. كما هي موجودة أيضا في المنظمات و الجمعيات و المذاهب الفكرية الإسلامية فإنها وإن تعددت الوسائل فالغاية واحدة وهي المعرفة بالله.

فالتآخي بين الطرق الصوفية ليس مجرد نظرية تلقى أو فضيلة تذكر أو نصيحة تقال لكنه فوق كل هذا واقع يعيشه أهل التصوف.

فمن الناحية النظرية والفكرية، نجد صاحب الطريقة التجانية مولانا الشيخ يعدّ عدم المقاطعة بين المريد وبين جميع الخلق ولاسيما بينه وبين إخوانه في الطريقة شرطا من شروط التعلق بطريقته ، وينصحهم على سبيل المثال لا الحصر على احترام كل أولياء الله وعدم النيل من أعراضهم وتعظيم كل المشايخ واحترام أورادهم كما نجد الشيخ الحاج مالك سي وهو من أكابر الخلفاء في الطريقة التجانية

يشجب على ما كان عليه بعض العوام من الناس في التفاضل بين طرق المشايخ قائلا :

تفاضل الطرق والجدال حديثهم
كما قال زروق جزاه مجيب
ثم أخذ يوجههم ويرشدهم إلى الحقيقة

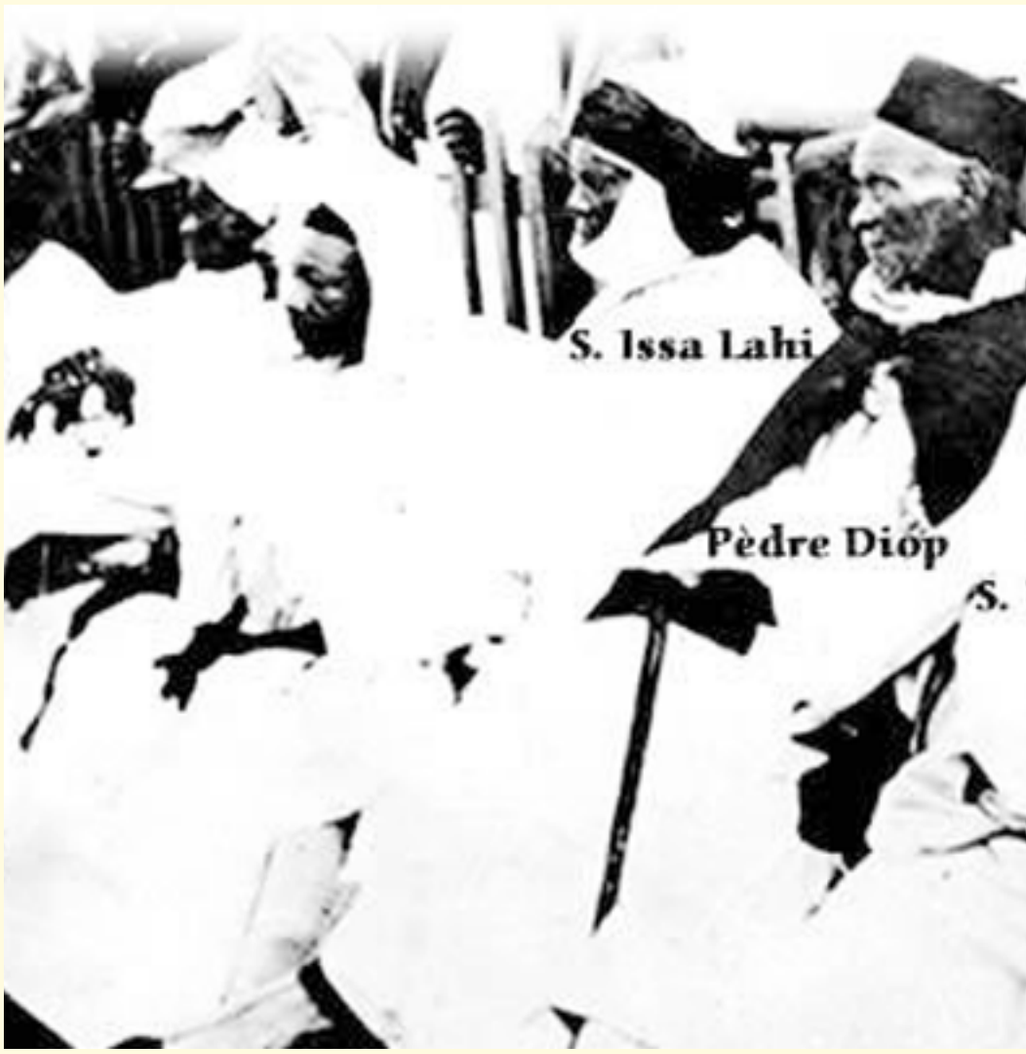

المجمع عليه ويقول :

فالطرق كلها إلى الرحمان
موصلة مسلكة ياجاني

وكما نجد شيخا آخر وهو مؤسس الطريقة المريدية الشيخ أحمد بمب ينوه بهذه الحقيقة ويبرزها قائلا :

فكل ورد يورد المريدا
لحضرة الله ولن يحيدا
سواء انتمى إلى الجيلاني
أو انتمى لأحمد التجاني
أو لسواهما من الأقطاب
إذ كلهم قطعا على الصواب

وربما تقف على كتاب يحمل عنوانا بهذا السياق مثل كتاب: "تحذير الإخوان من اتخاذ طرق السادة الخلصان وسيلة للتفرقة بين المسلمين في البلدان" لمولان الشيخ الحاج عبد العزيز سي الدباغ لو اطلعت عليه لوجدت ما يهدي الحيران ويسقي الظمآن وهكذا نجد كتابات المشايخ الكرام زاخرة بالأخلاقيات الإسلامية والنصائح الإنسانية .

أما من الناحية الواقعية فتحدث ولا حرج ، فقد ضربوا المثل الأعلى في تطبيق مبدأ التآخي بينهم تطبيقا عمليا في صور وأشكال مختلفة : حينا يتبادلون الهدايا وحينا يتبادلون الزيارات وأحيانا أخرى ينتهي بهم التآخي إلى قمته وهي المصاهرة؛ لقد زوج الشيخ الحاج مالك إحدى بناته السيدة أَسْتُ سي بشيخ من مشايخ الطريقة القادرية في مدينة سانت لويس، وكذلك الشيخ الخليفة أبوبكر سي تزوج بامرأة تسمى مريم كُنْتَ وهي بنت لأحد الشيوخ في الطريقة القادرية. أنظر هذه المجاراة الشعرية الرائعة بين زعيمي الطريقة القادرية والتجانية الشيخ سعد أبيه والشيخ الحاج مالك ، فقال الشيخ الحاج مالك :

سلام عليكم هاجه الشوق والود
قد انحط قدرا عنده المسك والوَردُ
جزيتم كفيتم أهل بيت رسولنا
فمنكم يحط الخير والرشد والسعد
أيا سعد سعد الدين شمس زماننا
فلا زال يروي من مناهلك الوِردُ

فجارى عليه الشيخ سعد أبيه بنفس البحر والقافية قائلا :

على فائق الأقران مالك دهره
يعود سلام طاب ليس له حد
تطيب به الأرواح إن فاح نشره
وفي طيه من عندنا الود والعهد
فإن يكن الأشراف حازوا سعادة
وسعدا من المختار ما مثله السعد
فمالكنا المشهور حاز اتباعه
فنال مقاما دونه النشر والسعد

وكذلك نجد المجاراة بين الشيخ الحاج مالك والشيخ أحمد أحمد بمبا ، الأول يقول:

هدية موجبها الاجتلاب
محبة يا أيها الحُباب
أدام ربنا حبل الوصال
يقي لنا شر الذي عدا وصال

والآخر يجيب :

جزاكم خير الجزا الوهاب
وفي صفا الوداد لا ترتاب
فكيف لا والمصطفى المجاب
قائدنا فالقتل لا نهاب

وفي البيت الذي يلي يتجلى علناً منزلة الشيخ الحاج مالك عند أخيه الكريم الشيخ أحمد بمب حين وضعه فوق كل أصدقائه ويقول:

وما اتخذت خليلا كنت أعرفه
إلا جعلتك فوق الكل في الرتب

إن المتأمل لهذه الصورة الجميلة من تبادل الاحترام و التقدير والإجلال والإكبار المعبر بشكل الصلات الطيبة مرة وبشكل الإنتاج الأدبي الرفيع مرة أخرى يدرك أن هذه الرموز الدينية كانت تعيش في جو يسود فيه التفاهم والوئام والمحبة، كما يرى بأم عينه أن الاتهامات التي وجهت إلى الطرق الصوفية بأنها طرق متعادية أو أنها عامل تفكيك لأواصر الوحدة بين المسلمين اتهامات لا أساس لها من الصحة .

بقلم السيد: بابا مختار كيبي
الكاتب العام للشيخ الحاج عبد العزيز سي الدباغ رضي الله عنه

مجهول الأمة ومعروفها:

الشيخ أحمد التجاني سي «المكتوم»

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله وسلم وبارك على نبينا المصطفى محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين .

بين يدينا موضوع ليس الحديث عنه بالهين اللين ، ذلك ، لأن مثل شخصية السيد أحمد التجاني سي، كمثل بحر محيط يراد الإحاطة به ، أو مكتبة شاملة يراد تفهم محتواها ؛ بيد أن غايتنا في هذا المقام ، ليس أن نحيط بهذا المحيط؛ بل أن ننهل منه ما ينفعنا في حياتنا اليومية . وسوف نتحرى الموضوعية في سرد الحقائق التاريخية ونحللها ، عسى أن يكون المقال مرآة للمجتمع بأسره .

الخليفة الحالي للطريقة التجانية، السيد الشيخ أحمد التجاني سي شخص بداخله عدة شخصيات؛ فهو تبارك الله ذلك العلامة الفهامة الذي جمع بين فهم ما في الكتب، وما في واقع الحياة؛ ولا غرو؛ لأنه جعل مرجعيته وقدوته في ذلك والده الروحي وأباه الشيخ الخليفة أبابكر سي بن الشيخ الحاج مالك سي رضي الله عنهما. وتمثل في قوله لأبيه :

أبونا أبوبكر وإن كان في القبر
رضينا به شيخا إلى آخر الدهر
لمن أنتمي إن لم يكن لجنابه
بمن أقتدي إن لم يكن بأبي بكر
خلا لك جو القلب يا طير حبه
فبيضي بخير واصفري أسعد الطير

تعالوا معي نستمع إليه وهو يقول :

ولقد ولدت ولي رضا بولادتي
لولادتي في منهج التجاني
ولأنني قد سميت من أمر به
فجزا الإله فتى به سماني

لقد نشأ الشيخ أحمد منذ وهلته الأولى على أساس من النضج الفكري، والحكمة في التبصر ، وفي تقدير كل قضية وأمر حق قدره ومقداره . وله في المجتمع السنغالي باع طويل ووزن ثقيل في مجالات عدة، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر :

الشخصية المعرفية للسيد الشيخ أحمد التجاني سي :

تزود الشيخ أحمد بوافر حظ من العلوم الدينية، واللغوية ،وذلك نسبة للمحيط المعرفي الذي نشأ فيه وترعرع مما جعله فقيها، أديبا ، منطقيا، وقل ولا تخف فيلسوفا. ونراه يرجع إلى كثير في قصص حياته العلمية والاجتماعية، مثل: والده النحرير الشيخ الخليفة أبي بكر سي رضوان الله عليه، والسيد الشيخ انجاي مابي، الشيخ شيبة فال، الشيخ علي غي، الشيخ عبد العزيز سي الذي أخذ منه من جملة ما أخذ الفصاحة والنطق الجيد. والسلسلة طويلة .

وقد هيأه هذا المحيط المعرفي ليكون واسع الاطلاع متمكنا من العربية والفرنسية على حد سواء ، وإن كانت اللغة العربية لغة تعلمه الأساسي .

ومما يؤكد نبوغه في العلم والأدب تأليفه في عنفوان شبابه مثل { الأركان الرواسخ لأبناء المشايخ } وناهيك إنتاجاته الأدبية عبر مراحل حياته اللاحقة.

ولقد تناول الشعر في كثير من الميادين: في الدين، في التصوف ، وفي الحياة الاجتماعية، في التربية والتوجيه ، في السياسة، في الفنون الجميلة ، في وصف الحقائق الكونية ، وفي العلاقة بين الحقائق الكونية بالربانيات .

فالشيخ أحمد التجاني يعتبر أديبا موهوبا محنكا ، وهو القائل في وصف جزيرة زارها :

خير الجزيرة ما أجل سماك
في قلب كل مؤرخ يغشاك
آه على سلف بنوا لك ما بنوا
من خير مجد لايفوت ذراك
تركوك ناشئة كأنك نجمة
للفن تحترمين من يهواك
جعلوك مخزن فضلهم
ورأوك بعض جزائر الأفلاك

واسمعه وهو يرثي "ألدمورو" عظيم الروما الذي قتل مظلوما :

نعاة الحلم في روما صباحا
دعونا نبك دهرا ألدمورو
هتاف الشعب والزعماء فيها
هتاف حول دنيانا يدورو
لقد حجزوه طغيانا وجورا
وهل عرفوه يطغى أو يجور
كما قتلوه حرا عبقريا
إلى غاياته الفضلى يسير
لماذا أبعدوه عن القضايا
وهم قوم لما فعلوه بور
فمورو لا يموت بموت جسم
ويملؤه بمضجعه السرور
ولكن أنتم الموتى لما في
صدوركم وقد مات الصدور
إذا مات الفتى كلبا عقورا
فيحكم أنه الكلب العقور
جهلتم قيمة الإنسان حتى
غدا فيكم وليس لكم مصير
ظلمتم جيلكم ظلما عظيما
فساد عليكم فيه الغرور

أباسم الحق يظلم وهو فيكم
لنهج الحق مصباح منير

يا ترى . لقد ظهر واضحا في الأبيات أن قائلها أديب لامع ومحلل دقيق للأحداث، ومفكر خبير في القضايا الدولية، وشاعر مفلق، قل هو الرجل. ويا حبذا لو جمعت وطبعت خطبه التي عالج فيها جميع ما يحتاج إليه الباحثون وطلاب العلم والمعرفة .

شخصيته السياسية :

له تجربة يضرب بها المثل لمن أرادوا أن يحدثوا ثورة سلمية عقلانية إيجابية في مجتمعهم .

فقد أنشأ حزبه " الحزب التضامني السنغالي / P.S.S. " ليكون برهانا أن التدين والمواطنة يخرجان من مشكاة واحدة ، وهما في واد واحد ، وأن رجل الدين السنغالي يجب أن يوفر له حظه في مسيرته لخدمة المجتمع وطرح بديل له عند الاحتياج . ترجع مبادرته السياسية الأولى من نوعها إلى عام 1958 لما زار القائد الفرنسي { جنرال ديغول } بلاد السنغال، وطرح قضية إنشاء مجموعة فرنسية إفريقية مما انتهى إلى إجراء استفتاء حول هذه القضية . وكان الاستفتاء { بنعم أو بلا ...} . ففي ذلك الحين ألقى السيد الشيخ محاضرة في مدينة تياس ليعبر عن موقفه مع كلمة {نعم} . وكان يرى مثل رأيه كل من الشيخ محمد فاضل امبكي، والشيخ إبراهيم نياس. ومن هنا انخرط السيد الشيخ في مجال السياسة وأنشأ حزبه السياسي المذكور أعلاه، ذلك الحزب الذي يعتبر فاتحة الأحزاب السياسية يرأسها رجال الدين في البلاد .

وقد كانت للسيد الشيخ جرأة سياسية، تتمثل في الأبيات التي قالها في قصيدة يمكن تسميتها ب {إيقاظ النائمين} حين قال :

طغت الحكومة والحكومة إن طغت
يوما يقابل بالفؤاد كما جرى

وقال :

يا سادة الناس غرتكم ظنونكم
بدولة شأنها رفض الديانات
إن لم تقوموا فموت الدين مقترب
إن القيام لكم أولى العبادات
عظمتم واحترمتم في الأنام معا
وكنتم لمقام الدين خانات

فتجربته السياسية كما أشرنا إليه سابقا تعتبر خارطة الطريق لرجال الدين الذين اتخذوا السياسة نهجا وخيارا في نشاطهم الواقعي .

شخصيته الفلسفية :

فالسيد الشيخ فيلسوف لامع بالطبع لا بالتطبع ، فإذا تكلم وجدت في عباراته أسلوبا فلسفيا ، لا يعيه إلا ذو حظ عظيم، وذو أذن واعية وقلب سليم . وهو في هذا المجال يتسم بالسهل الممتنع .فله قاسم مشترك مع كبار الفلاسفة في مجتمعاتهم كسقراط وأفلاطون، والمفكرين كأندرى مالرو. وألين ، وجاك مارتين ... الخ، وحملة الفكر الإسلامي ، أمثال ابن رشد، وابن سينا ، والفارابي ، والإمام الغزالي، والحلاج. وإذا قرأت كتابه «الأركان الرواسخ لأبناء المشايخ» وجدته فيلسوفا من أكبر أعلام الفلسفة، ويتسم بأسلوب فريد في سرد الحقائق وضرب الأمثال وتقريب المعاني. ففي هذا الكتاب قصة الرجل المرافق لابنه ومعهما حمار ... والكتاب ثروة دسمة للباحثين في هذا المجال .

وتتجلى شخصيته الفلسفية وبراعته في التحليل النفسي، ما قاله عن مسير كل من سقراط وأفلاطون حيث قال :

ما منتهى سقراط والملأ الأعلى
تبعوه إلا غربة فحمام
وكذاك أفلاطون في آرائه
ما النقض حرره ولا الإبرام
من لم يعد محمدا في علمه
فالعلم فيه خسارة وملام

شخصيته المواطنة :

لك أن تقول بأن السيد الشيخ كان منذ وهلة عطائه الأول مواطنا صالحا ينتج للمجتمع، ويعمل من أجل تنمية المجتمع في كافة المجالات . فكانت له بساتين نذكر منها : بستانه في منطقة امبورو حيث وصل إليه زحف الفسفات فتخلى عنه للصالح العام . ونذكر كذلك بستانه في بُلِلْ منطقة كفرين؛ ذلك البستان الذي صار قرية كبيرة سميت بمدينة سي، ويشرف على البستان أخوه وأمينه الشيخ عبد العزيز سي الأمين . وتجدر الإشارة إلى أن آلافا من المواطنين يستفيدون وينتفعون من إنتاجات تلك المزارع. كما كان للسيد الشيخ نصيب لا يستهان به في شركة السنغال للأسمنت / S.O.C.O.C.I.M . وهو أول من أسس تعاونية / COOPERATION مع السيد الشيخ امباكي قبيل الاستقلال .فما كانت المشيخة لديه مجرد التربع أمام الأتباع ، وسرد القصص وجمع الهدايا، بل أن المشيخة في منظاره هي أن يكون إيجابيا في مجتمعه . وأن يكون منتجا قبل أن يكون مستهلكا وأن يعطي للمجتمع حقه ومستحقه . وبهذا المبدأ أنشأ السيد الشيخ للمواطنين فرص عمل مباشرة وغير مباشرة تعد بالآلاف .

شخصيته الحكيمة :

فلو أن للسيد الشيخ شعارا في حياته فيمكن أن يقال بأن شعاره " الحكمة البالغة " في تصرفاته ، وسلوكه ، وظهوره ، وخفائه . وحسبنا مثالا حيا في ذلك تصرفه في أول احتفال بالمولد النبوي الشريف بمدينة تواوون بعد ارتحال صنوه المحبوب الشيخ محمد المنصور سي إلى جوار ربه وتوليه عرش الخلافة التجانية . حينذاك كان الناس يتساءلون . فأمر أخاه وأمينه الشيخ عبد العزيز سي بأن يحي ليلة المولد مع الشيخ الحاج مالك سي بن الشيخ الحاج عبد العزيز سي الدباغ في زاوية الشيخ الخليفة أبي بكر سي ، كما أمر بإرسال كل من السيد أبي بكر سي منصور، والسيد الحاج مالك سي أبي بكر بإحيائها في جامع الشيخ الحاج مالك سي . ولما شاع الخبر وتناولته قنوات الإذاعات وشبكة الانترنيت ، عم الفرح والسرور والغبطة وابتهاج قلوب محبي الخير . وبهذا التصرف بيّن السيد الشيخ أن الأسرة المالكية أسرة واحدة قديما وحديثا ، وأن غاية كل واحد منهم هي الصلاح والإصلاح ، فشعارهم قوله تعالى: إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون الأنبياء : 92 .

وبالجملة، يمكن تلخيص شخصية السيد الشيخ بالسمات التالية :

هم عالم متمكن ومفكر واع وفيلسوف حكيم وسياسي محنك ومرب بالحال وداعية ناجح ومرشد راشد وهمزة وصل للتواصل الداخلي بين البيوت الدينية ومسكن لهزات المجتمع هو شفاء لما في الصدور بعلمه .

أطال الله بقاءه وأيده في كل وقت وحين ليكون النجاح حليفه في زمان ومكان وهو ولي التوفيق .

بقلم السيد
محمد مصطفى سي المدير

هكذا تكلم الحكيم

بين يدي القصيدة:

الحكمة هبة إلهية ونعمة ربانية، ويصطفي المولى عز وجل من كل أمة وجنس أشخاصا يخصهم بهذا الخير، ويؤتيهم إياها دون باقي الناس من حولهم، وديدن الفلاسفة والحكماء أنهم ينطلقون من واقع تجاربهم وخبرتهم بالناس وبالمحيط حولهم في تشخيص أدوائه، وتوصيف دوائه.

هؤلاء الحكماء هم قادة الرأي، وبناة الإنسانية وحاملو رايات التغيير السلمي في أممهم وشعوبهم، يدفعونهم بأفكارهم وآرائهم نحو التغيير الجذري لما في النفوس، فإذا بالرؤى والأفكار السائدة والتي تقف حجر عثرة أمام تقدم الأمة، تزيلها وتقضي عليها.

بين يدي القارئ هذه الوصايا النفيسة والغالية من حكيم الأمة السنغالية، الخليفة العام الحالي للطائفة التجانية الشيخ شيخ أحمد التجاني سي «المكتوم» يوجه فيها إلى شباب أمته وصايا من العيار الثقيل، يوضح فيها جملة من الواجبات المترتبة على عاتق الشباب إن هم جادون في السعي نحو بلوغ الأهداف وتحقيق الأماني.

إنه خلاصات استنتاجات ثمينة استقاها الشيخ الموسوعي الثقافة، وحصيلة لتجربة رجل عايش الأحداث والأزمات الاجتماعية والثقافية في وطنه، ووقف على مكامن الداء، وأحسن - جزاه الله خيرا - وصف الدواء، فإلى قراءة متأنية ومتدبرة لوصايا هذا الحكيم.

يَا أَيُهـاَ الأولاد إِنَّ سموكم ... يزداد بالإخلاص والإنصاف
أوصيكم بثلاثة من شأنها ... تسهيل سيركم إلى الأهداف
أوصيـــكم: بتـــأدب وتـــفكر ... وتعمق في البحث كالأسلاف
فالمرء بالفوضى يذل حياته ... ويبدل الإصلاح بالإتلاف
ما زانكم مثل السكينة في الدجى ... ما شانكم مثل الرضا بهتاف
الصمت حُكْمٌ لا يقارب سلطة ... فبه تضم صيانة بعفاف
والنطق بالحكم السَّنِيَّةِ لازم ... إلا مع الأوشاب والأجلاف
ساد العمى والجهل في أوساطكم ... إن العمى والجهل شر جفاف
ما أنتجا إلا الضغينة والهوى ... ما أعملا إلا أذى بخلاف
ما ضل إلا من أُضِّلَ على هدى ... وصف يقبح جانب الأوصاف
لا تركنوا نحو التشيخ إنما ... عقباه ضعف عائد لضعاف
وزنوا الحياة بكل قسطاط ولا ... تزنوا الحياة بنخوة وكفاف
وتعلموا حرفا وسيحوا واعملوا ... وفقا لما في سورة الإيلاف
وأدعوا إلها يستجيب دعاءكم ... نورا وتوفيقا بلا إخلاف
وتضرعوا كل التضرع عنده ... ليعمكم بجلائل الألطاف
وتوسلوا بالهاشم محمد ... وتأيدوا من بعد بالأخلاف
فعليه خير صلاة ربي دائما ... وعلى الصحابة مثلها بالكاف
كل لأهل الأرض هاد مهتد ... شاف لداء المؤمنين وكاف

* المرجع: مجموعة من قصائد الشيخ أحمد التجاني سه المكتوم

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه

أصحاب الفضيلة شيوخ الطريقة التجانية ومقدميها ومربيها،
حضرات السادة الكرام،

يطيب لنا أن نتوجه إليكم بهذه الرسالة السامية، بمناسبة انعقاد اجتماعكم السنوي، لنعبر لكم عن صادق تحياتنا وسابغ رضانا ورعايتنا لكافة أعضاء أسرتكم الروحية الجليلة، حريصين على اتباع النهج الذي سنه والدنا المنعم، جلالة الملك الحسن الثاني قدس الله روحه، عندما وافق، منذ زهاء عشرين عاماً خلت، على انعقاد هذه الأيام تحت رعايته السامية، فصارت سُنة متبعة، ومناسبة متجددة، تجتمعون فيها على البر والتقوى، في ظل العلم والإيمان والإخاء في الله، واستحضار مناقب شيوخ طريقتكم الصوفية، وأعمالكم الخيرية في بلدان العالم عامة، وفي مختلف الأقطار الإفريقية خاصة.

فالطريقة التجانية قامت ولا تزال بالتربية الروحية على محبة الله ورسوله، وعلى الاقتداء بالسنة المحمدية الشريفة، ولهداية الناس إلى كلمة التوحيد في الديار القاصية والدانية، جاعلة من التجرد للطاعات والاستغفار والمواظبة على مواصلة الأذكار منهجها القويم: "ألا بذكر الله تطمئن القلوب". ولهذه مدارسها ومعاهدها وزواياها ومساجدها المنتشرة

.../.

في كلّ بقاع بلدكم الشقيق تشهد، بكلّ جلاء، على هذه المناقب والأعمال الخيّرة.

لقد أصبحت الطريقة التجانية، بفضل اجتهادها ولزومها للسنّة والجماعة إحدى مدارس التصوّف الإسلامي السنّي الكبرى، حيث تخرّج منها العلماء الذاكرون والمصلحون المخلصون، لنشر الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة، مع الحرص على سماحة الإسلام، وتخليق أتباعها بالأخلاق المقتبسة من سيرة الرسول الأعظم، الذي شهد له الحقّ بالكمال الخلقي، في قوله سبحانه: "وإنّك لعلى خلق عظيم". وكانت رسالة الصوفي في هذه المدرسة الروحية الكبرى، رسالة نبيلة لإصلاح القلوب وتصفية النفوس، ممّا زان عليها من ظلام الشهوات، وتمتين أواصر التضامن الإسلامي والتعاون على البرّ والتقوى لتظلّ كلمة الله هي العليا.

فما أحوج المسلمين اليوم، إلى التمسّك بهذه الأخلاق القائمة على التقوى ومراقبة النفس، وتجسيد الاستقامة في الأقوال والأفعال، ببذل المعروف وكفّ الأذى، وإشاعة السلام لتحقيق مقام الإحسان، الذي هو جوهر الإسلام.

حضرات السيّدات والسادة العلماء الأفاضل،

لقد تأثّرنا بما عرضتم عليه من تجسيد ولائكم للعرش العلوي المجيد، ولا سيما رغبتكم في التعلّق بالرعاية السامية لجلالتنا الذي تشبّثاً منكم بالآصرة الروحية، التي ظلت تشدّ الطريقة التجانية على مرّ العصور إلى الملوك العلويين الأماجد، منذ عهد السلطان المولى سليمان طيّب الله ثراه، إلى اليوم، واعترافاً بما قدّمه هؤلاء السلاطين الميامين من دعم للطريقة التجانية، ورعاية لزواياها وأتباعها.

فقد كان المولى سليمان قدّس الله روحه، ذا عناية فائقة بها وبمؤسّسها سيدي أحمد التجاني رضي الله عنه، ثمّ سار على هذا النهج

.../.

أجدادُنا المنعَّمون، بإصْدار ظهائر التوقير والعناية بمشايخ هذه الطريقة، إلى عَهْد جدّنا جلالة الملك محمّد الخامس، قدّس الله سرّه. ولا أدلّ على هذه الآصرة القويّة من احتضان المغرب للزاوية الأمّ بمدينة فاس، حيث ضريح الوليّ الربّاني أبي العباس التجّاني، وزاوية الوليّ الصّالح سيدي العربي بن السّايح بمدينة الرباط.

أما والدُنا المنعم، جلالة الملك الحسن الثاني، خلّد الله في الصالحات ذكره، فقد أنشأ لدولة الطرق الصّوفية، وكانت دورة الطريقة التجانية بفاس سنة 1985 حَدَثاً تاريخياً عظيماً، جسّد عناية العرش العلوي بهذه الطّريقة الصّوفية الجليلة. ولهو ما جعل أبناءها في جميع الأقطار أوفياء مخلصين للعرش العلوي المنيف، باعتبار المتربع عليه أميراً للمؤمنين وراعياً للملّة والدّين، وحفظ السنة النبويّة المطهّرة، من تحريف الضالين والمتطرّفين.

وما فتئ المغرب والسّنغال يَعْملان في ظل فيادتيهما، في توافق وانسجام، على حفظ تراثهما الديني والرّوحي المشترك، مع الحرص على وَحْدة المذهب في الشريعة والطّريقة، وتجسيد التّضامن الإسلامي على أرض الواقع. ومِنْ هذا المنطلق، جاء حرصُنا المَوْصول على تمتين وشائج الإخاء بيننا وبين أخينا العزيز فخامة الرئيس عَبْد الله واد، وعلى تفعيل آليات التّعاون بين بلدَيْنا الشقيقين، وشعبينا الأخوين فيما يعود عليهما بالتقدّم والازدهار.

وفّقكم الله ورَعاكم، وسدّد على طريق العَمَلِ الصّالح خطاكم.

والسّلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

وحرّر بالقصر الملكي بمراكش في يوم ذي القعدة عام 1425 هـ، الموافق لـ جنبر سنة 2004م

محمد السادس
ملك المغرب

المسئولية القيادية في الإسلام

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

من المعروف أن الحياة -وهي منة عظيمة وغالية من الله تعالى علينا - عبارة عن صراعات عنيفة بين تيارات وقوى ذوات توجهات متباينة ، تدعى كل منها انفرادها بالصلاح والقدرة على تحقيق الغاية الأساسية للوجود الإنساني ، فتأكد نظرا لذلك احتياج الإنسان إلى موجه رشيد يأخذ بيده وبهديه ورغبته في منهج قويم خال من كل عقبة قد تعرقل مسيره .

المنهج :

فالمنهج هو الدين الإسلامي الرباني المصدر بعقيدته الصحيحة وشريعته العادلة المتوازنة ، وما انبثق منهما من القيم الرفيعة والأخلاق الكريمة ، وهو المنهج الذي لم يزل ولن يزال يدرّ بمعطياته النفسية ويجود بنتائجه الملموسة منذ عهد القائد الأعظم سيدنا محمد ، الذي كان يجمع في أن واحد القيادة الروحية المستمدّة من القرآن والسنة بحكم كونه نبينا يبلغ ما يوحى إليه من ربه ، والقيادة المادية، الحركية التنظيمية باعتباره رئيس الدولة، وزعيم الأمة الحاكم بما أنزل الله عليه، وأمره بالتقيد به، وأعطى هذا الاعتبار والتقدير للقادة الأعلام الأجلاء الذين تحملوا من بعده أعباء المسئوليات القيادية على عواتقهم عبر العصور، وأورثوا الأمة ما أورثوا من الإنجازات الخالدة، فالقائد المسلم حين يباشر وظيفته إنما يباشر سلطانا روحيا وسلطانا ماديا يندمج كل منهما في الآخر ويمتزج به، فبأقل ما يمكن تصوره من خلل أو نقص يقع في أي من الجانبين يحدث افتقاد التوازن وعدم استقرار الأمر الذي أدى بالعالم الإسلامي إلى ما نشاهده الآن من الواقع المرعب الأليم ، ذلك لأن الدين لا تتجزأ أحكامه ولا تقبل الانفصال، فالنصوص الشرعية تمنع من العمل ببعضها وإهمال البعض الآخر كما تمنع من الإيمان ببعض والكفر بالبعض الآخر مراعاة لقدسية العقيدة ووحدة الشريعة .

القائد :

القائد هو الذي بحكمته وقوة شخصيته وتفانيه في خدمة الأمة ورعاية مصالحها يتوقف نقل ما احتوته النصوص من التعاليم والتوجيهات من حرفيتها إلى حيز الواقع لتعطي ثمراتها التي هي: ترسيخ العدالة الاجتماعية والدفاع عن الأمة من الاعتداءات الموجهة إليها بمختلف الأشكال والألوان .

لوازم القائد والقيادة :

فبقدر ما ينبغي لمدرس مادة من المواد العلمية أو لطبيب متخصص في إحدى مجالات الطب أو لسائر الصناع في شتى فروع صناعاتهم أو يلموا بتخصصاتهم ويتحكموا عليها يجب على كل من في يده زمام القيادة إدراك كافة ما يرتبط بمهماته من المقتضيات واللوازم إحساسا بالمسئولية وإيمانا بأنها تكليف إلهي وارد شريعته الغراء قال تعالى : «أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم النساء» : 59 .

فأولوا الأمر حسب وجهات نظر معظم العلماء هم أرباب المسئوليات والقرارات الإدارية في الدولة ، لقد أجمع الصحابة الكرام وهم أدرى الناس باتجاهات الإسلام على أن يقيموا على رأس الدولة قائدا يخلف الرسول ، وإذا كانوا قد اختلفوا فيما بعد على الخلافة فخلافهم يتحدد في الشخص الذي يملأ الوظيفة الأعلى ويحق له القيادة .

وقد أثنى النبي على بعض من صحابته بأوصاف لا يستغنى عنها من يقود أمته في أي عصر من العصور،

إذ قال: "أرحم أمتي بأمتي أبوبكر، وأشدهم في أمر الله عمر ، وأصدقهم حياء عثمان، وأقرأهم لكتاب الله عليّ ، وأفرضهم زيد (أعلمهم بعلم الفرائض) وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل ، وإن لكل أمة أمينا وإن أمينا أيتها الأمة أبو عبيدة بن الجراح" .

هذه الصفات القيادية المتوزعة في الصحابة نتيجة ما تلقوه من التربية النبوية الأصيلة هي التي مكنتهم من تحقيق الفتوحات الإسلامية العديدة، ورفع البشرية من الحضيض إلى القمة .

قد يكون مفهوم القيادة أوسع نطاقا مما يتبادر إلى الذهن عند ذكر اللفظ فيشمل الزعامات الدينية التي يتولاها العلماء والدعاة والقضاة وغيرهم ممن منّ الله عليهم بأن يكونوا موضع ثقة المسلمين كقائدنا العظيم السيد الحاج مالك سي مؤسس المدرسة التربوية التواوونية، حيث إني سأكون موفقا وحليفا للصواب عندما يطلب مني أن أقد نموذجا مثاليا لقائد ناجح في مهمته فذكرته لتميزه بالقدرة على التعامل مع القلوب وسلخ آثار السلبية عنها لتستقر فيها ثمرات التربية السليمة علما بأن من الضروري إحاطة القائد علما بالمبادئ التي يقود بها أمته ، والغايات التي يسعى إليها ، واتصافه بصرامة العزيمة على تطبيق تلك المبادئ في الواقع العلمي .

لقد صور لنا هذا الرائد الفريد مريده السيد محمد الهادي طوري إذ خاطبه قائلا:

نصحت أمة خير الخلق محتملا
أثقالها رافعا للدين أركانا
لله درك من شيخ يدل على
مولاه قولا وفعلا يا ابن عثمانا

إلى أن قال :

فقمت لله في جبر الكسير وإصـ
ـلاح الفساد وتطهير لما رانا

نستلهم من هذه الأبيات ركائز أساسية يستند عليها ويتقوى بها كل من تصدى لتولي وظيفة القيادة في الدين ، وهي إخلاص النصائح للأمة، واحتمال ما يصدر منهم من الإذاية و الأثقال ، وتأييد الدين بالدفاع عنه وبنشر تعاليمه حالا ومقالا، ثم العناية بإصلاح كل فساد حسي ومعنوي يقع بين المسلمين هكذا إلى خاتمة تلك القصيدة الرائعة .

وقد كان الشيخ الحاج مالك سي يتميز بملكة تقدير المسؤوليات وبذل كل ما أمكن له من جهود لرفع مستويات أفراد جماعته وتمكينهم من المشاركة الفعالة في العمل الجماعي ، والتمسك بالاستقامة ، الأمر الذي قد صاغهم صياغة تدفعهم إلى التحلي بالمكارم والفضائل ، والاحتماء بحمى المثل العليا إضافة إلى إيجابية تساعدهم على مواجهة كل التحديات بالحكمة والإيمان الصادق و الرؤية الواضحة

بقلم أخيكم:
مختار سي بن السيد مُورْ جُوزِ سي
صين مختار المقيم بدكار
بـرسيل أسن وحدة 6 رقم 227 .

الزاوية التي غدت جامعة

في أدبيات المؤرخين لتاريخ السنغال في العصر الحديث، يتحدث بول مارتي أحد الكتاب الأوربيين عن زاوية الشيخ الحاج مالك سي بتواوون بالعبارات الآتية: «إن الخاصية المميزة لزاوية الحاج مالك بتواون، هي أنها تشكل جامعة شعبية حقيقية، فهي تكون عددا ضخما من الأساتذة والمعلمين لعلوم الشريعة الإسلامية، ثم ينتشرون عبر البلاد، ويكونون بدورهم كوكبة، أي جماعة من الأساتذة، يساعدون على نشر مبادئ التعاليم الإسلامية» اه نقلا عن كتاب (الفياض).

وحقا هنا كانت زاويته

يعمرها عشاق العلم والمعرفة، ويستقي من ينابيعه الواردون علوما وفنونا، وقد كفت زاويته بعد تاسيسه، طالبي العلم والمعرفة عن الرحيل والاغتراب إلى الدول العربية، وقد كانت مجالسه العلمية التعليمية منها والتثقيفية تعج بالأجناس والقبائل المتنوعة من أبناء القطر السنغالي ومن أبناء الأقطار المجاورة، ومن شتى الانتماءات المذهبية والطرقية.

وكان نبل رسالته وعلو همته، أكبر من أن تستوعبه زاوية واحدة، فجمع إلى وظيفة التدريس والوعظ والإرشاد والعمل الزراعي نشر الزوايا والجوامع في المدن الكبرى، فانتشرت الزوايا في كل من اندر (سانت لويس) ودكار، واللتان كانتا تعتبران

بالإضافة إلى روفيسك من أكبر المراكز الحضرية في السنغال، وكان دأبه مع تلاميذه وأتباعه بعد أن يتوثق من مقدراتهم العلمية والأدبية وتمكنهم العملي من القيام بمهمة التدريس أن يجيزهم، ويخلي سبيلهم، مع أمرهم بالقيام بواجب التعليم والدعوة أينما استقروا، فعمت مزاياه، ودارات زواياه.

وأوضح شاهد على مدى تأثير جامعة الزاوية في السنغال وما حولها، هو وجود هذا العدد الهائل من العلماء الجهابذة

في فنون العلوم الشرعية المختلفة، وفي علوم اللغة العربية المتنوعة ممن خرجتهم زواية تواوون، وأثروا تأثيرا بعيد المدى في نشر العلم، ونصب رايته في المناطق التي تواجدوا فيها.

ومنذ تأسيس زاوية تواوون إلى يومنا هذا، ظلت شعلة العلم والنور المنبعثة من أركانها مشتعلة، تحمل الخير والبشارة للباعثين عن الهدى والنور، وقد تكاتفت جهود خلفائه وأتباعه على إبقاء هذه الحوزة العلمية مفتوحة، وما الجهود التي تبذل في الوقت الحالي ممثلة في تحديث التعليم فيها بمستغرب.

ولنا عودة إلى هذا الموضوع مستقبلا.

معهد «الشيخ الحاج مالك سي» للدراسات الإسلامية والبحوث العلمية بتواوون

تعتبر مدينة تواوون من ضمن المراكز الهامة والأساسية في نشر التعليم الديني والثقافة الإسلامية في السنغال، وهي وإن بدأ دورها متأخرا مقارنة بباقي المراكز الإسلامية في هذا البلد، إلا أن شهرة مؤسسها « السيد الحاج مالك سي »، وجودة التعليم الملقى فيها، وتميز خريجيها على طول البلاد وعرضها في إتقانهم وتضلعهم العميق في شتى العلوم الإسلامية واللغوية، سمح لتواوون بأن تحتل مركز الصدارة بين هذه المراكز، ولا سيما في مستهل القرن العشرين، عندما حل بربوعها مقيما، من سبقته إليها شهرته العلمية ومقدرته الفذة في التدريس، أعني السيد الحاج مالك سي «رضي الله تعالى عنه».

وما فتئت المدينة منذ ذلك العهد تواصل الاحتفاظ والاهتمام بتركة « مود » العلمية والثقافية، متمثلة في الزوايا التعليمية العديدة، والأروقة العلمية، والكتاتيب القرآنية المنتشرة في أحياء هذه المدينة العلمية، طولا وعرضا، كما ظل أبناؤه البررة، وأتباعه الأوفياء قائمين وحريصين على إبقاء شعلة العلم وراية المعرفة في تواوون دائمة التوقد، وخفاقة في الأفق، يبرهن على ذلك تعدد الحلقات العلمية فيها والإقبال الشديد الذي تشهده هذه الكتاتيب حتى يومنا هذا.

وفي هذا الصدد أيضا يندرج تأسيس العديد من المعاهد الحديثة والمدارس النموذجية، ومن بينها « معهد الشيخ الحاج مالك سي للدراسات الإسلامية والبحوث العلمية ».

لقد أتت فكرة إنشاء وتشييد هذا المعهد، الذي أطلق عليه تيمنا وتبركا اسم (معهد « الشيخ الحاج مالك سي » للدراسات الإسلامية والبحوث العلمية)، نتيجة رؤية عصرية واستشراف بعيد لآفاق المستقبل، يتمتع بها القائمون والمشرفون على إدارة وتسيير المعهد، وهو مبادرة طيبة وطموحة أقدم على تحقيقها وإنجازها عمدة من أعمدة الأسرة المالكية، ممثلا في شخصية ناطقها الرسمي سماحة الشيخ « عبد العزيز سي الأمين ».

ومنذ أن رأى المعهد النور، ما برح الشيخ يواصل عمل الليل بالنهار، ويجود من وقته الثمين، ونفيس ماله دعما ومساندة له،

كما كشف من جهوده وتحركاته وفعّل علاقاته الداخلية والخارجية من أجل الرقي بحالة المعهد، وجعله يتصدر أعلى القائمة ضمن أفضل المعاهد والمراكز المرموقة في هذا البلد.

إن هذا المعهد يوفر في مناهجه وتكوينه فرصة نادرة، وحلا مناسبا لطلبة العلم في الجمع بين التعليم الإسلامي الأصيل وبين التعليم العصري القائم على نظام المراحل والمناهج الدراسية،

كما يحل، وبشكل جذري مشكلة التعليم الثانوي المنظم، والتي كانت يعانيها طلبة العلم القاطنين في تواوون وضواحيها، وفي القرى المجاورة لها، لقد سعت إدارة المعهد منذ إنشائه إلى القيام بكافة الإجراءات الإدارية والقانونية لتوفير الإطار القانوني له، وتسجيله ضمن المدارس المرخصة لها من قبل وزارة التربية الوطنية.

يقع هذا المعهد في حي «بام» الحديث العهد بالتوسع والتمدد في مدينة تواوون، والطابع العام للحي الذي أقيم فيه هذا المعهد هو الهدوء التام وملائمة الموقع، وسهولة الوصول إليها، وقلة مصادر الضوضاء والضجة التي تفسد الأجواء التعليمية، فالأجواء الصاخبة والأماكن الهائجة بالحركات والضجيج المستمر كل ذلك بعيدة كل البعد عن موقع المعهد، يضاف إلى ذلك حداثة الحي وقلة ساكنيه، وقربه من الطريق الوطني رقم ١.

يشكل المعهد الجديد معلما بارزا من المعالم الحديثة التي تميز هذا الحي الجديد الواقع في الجنوب الغربي من مدينة تواوون، ويضم الحي كذلك المدرسة الثانوية الحكومية، ومبنى الشركة الوطنية للكهرباء، إلى جانب العشرات من المباني السكنية حديثي العهد بالتشييد، والطريق المعبد والمزفلت نحو «انجاسان».

يحتل المعهد مساحة أرضية كبيرة تقدر بثلاثة هكتارات تقريبا، وقد شيدت فوقها مبان جديدة من الطراز المعماري الحديث، تضم في أقسامها : مبنى الإدارة العامة للمعهد، ومبنى فصول المرحلة الابتدائية، وفصول المرحلة الإعدادية ، وفصول المرحلة الثانوية، وبنايات أخرى عبارة عن دورات المياه، ومخازن المعدات المدرسية، ويتم في الوقت الحالي تشييد مرافق جديدة تضم داخليات للطلبة وقسما للمكتبة العامة للمعهد إلى جانب قاعة للمحاضرات ومرافق أخرى تابعة .

وتضفي أجواء المعهد وفناءاتها المخصصة لأنواع الرياضات البدنية المختلفة، وكذلك المساحات الخضراء التي تغطي جانبا كبيرا من المعهد بيئة صالحة ومرفهة لمرتادي هذا المعهد.

تتميز قاعات الدراسة في هذا المعهد بسعتها وقدرتها على استيعاب أعداد كبيرة من طلبة العلم، بالإضافة إلى تجهيزها بالمستلزمات الضرورية من الكراسي والطاولات والمكاتب والدوالب، ويشهد المعهد منذ افتتاحه في عام ٢٠٠٦، إقبالا منقطع النظير من طلبة العلم الذين يفدون إليها من القرى والبلدات المحيطة بتواوون، ومن الدارسين الملتحقين بالحلقات التدريسية المنتشرة في المدينة الراغبين في مواصلة دراساتهم العلمية.

وقد انتدب للتدريس في هذا المعهد خيرة أساتذة تواوون لتولي إلقاء الدروس فيها، سواء باللغة العربية أو في اللغة الفرنسية وكذلك اللغة الإنجليزية، كما يتمتع المعهد من وجود عدد من الأساتذة المصريين الموفدين للتدريس في فصوله.

مدينة وتاريخ تواووى

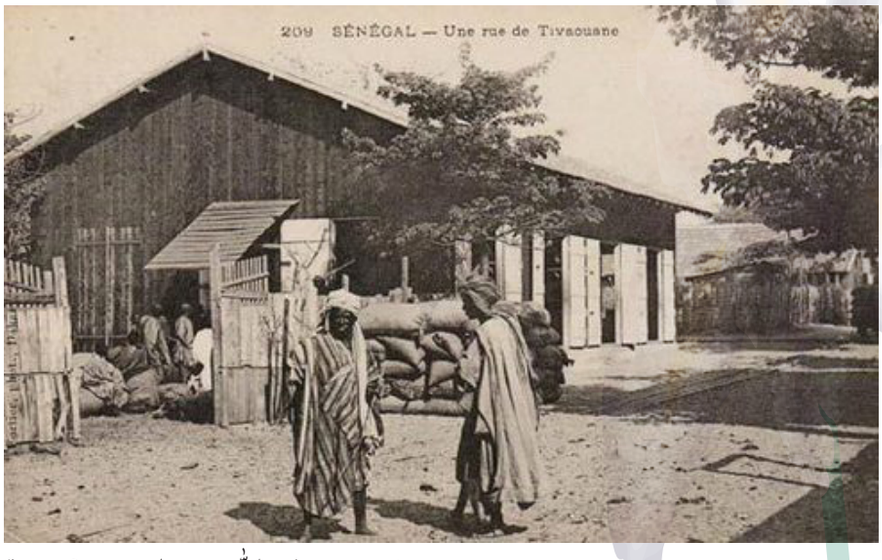

تقع مدينة (تواوون) في غرب السنغال، وهي قريبة من مدينة (تييس)، وتواوون مقرّ الخلافة العظمى للطريقة التجانية. وقد ذكر أحد الرحالين الذين عبروا المحيط الأطلسي وجودها بالفعل في القرن الخامس عشر الميلادي، وأنها كانت جزءا من مملكة كيور وعاصمتها.

في عام 1904 ، كانت خامس أكبر مدينة في السنغال بعد سانت لويس، وداكار، وروفيسك وجورى. أنشئت محطة سكة الحديد القائمة فيها منذ عام 1904م.فالمدينة من ناحية أخرى العاصمة للتجانية في السنغال ,و تبعد عن دكار عاصمة السنغال ب 92 كلم ,على الطريق الوطني رقم 2ويفد إليها في كل يوم وأسبوع جمهور عديد من الزوار للإمتياح من معين الخير والبركة الثرّ الذي قد نبع الله ماءه الفرات على يد الشيخ الحاج مالك سه ابن العلامة الورع عثمان سه والسيدة الفاضلة فاطمة ولي ،ذلك لزيارة الأضرحة التي تضم أئمة هداة من أولياء الله الصالحين. من ذرية الشيخ الحاج مالك سه , قدموا الرخيص والنفيس من أجل تمكين الإسلام في ربوع البلاد وتربية وخدمة العباد.

في عام2003م أدرجت الدولة ضريح الشيخ الحاج مالك سه وضريح نجله المكين، أول خليفة له الشيخ السيد أبي بكر سه، رضي الله عنهما، ضمن مجموعة المعالم والآثار التاريخية والتراث الوطني في السنغال، كما سجلت الدولة إلى جانب ذلك مبنى محطة سكة الحديد .مدينة تواوون في التقسيمات الإدارية هي تحتل مستوى مقاطعة من إحدى المقاطعات الثلاثة التابعة لإقليم (تييس). تقع في مناطق زراعية ,ولذا تعد مركزا مهما لإنتاج الفول السوداني (كرت).

ومن المقرر تاريخيا أن الحاج عمر الفوتي تال (1794-1864)،كان صاحب الخلافة التجانية العظمى ببلاد السودان. وبعد غيابه يرجع الفضل في انتشار الطريقة التجانية مرة أخرى إلى الشيخ الحاج مالك سي، الذي ولد في عام 1855 قرب (داجانا). ثم استقر في مدينة (تواوون) بشكل دائم في عام 1902ببلاد(الولوف). فهي المجموعة العرقية الأكثر تمثيلا في هذه المدينة .ومنذ أن قطن الشيخ الحاج مالك سي مدينة (تواوون)، وطئت أقدامه الشريفة على أرض المدينة ،أصبحت في ظل قيادته، مركزا لتعليم جميع العلوم الدينية والتربية، كما تحول مجلسه التعليمي إلى جامعة شعبية وشدّ هموم المسلمين إلى ما يرضي الله تعالى عبادة وتلاوة و خدمة الصالحين من المشيخة وصلة الأرحام ، بدلا من التشاجر والعصبية التي قال في ذمّها الرسول صلى الله عليه وسلم (دعوها فإنّها منتنة) . وجعل المدينة موطنا لشدّ أوزار المسلمين للتجاوز عن الاختلافات الفرعية والاشتغال بتوثيق وحدتهم أجمعين عملا بالآية الكريمة التي أعلنت قديما ب (إنّما المؤمنون إخوة....).وفي سبيل تحقيق هذا المبدأ النبيل والعزيز في الإسلام مدّ الشيخ جسر التواصل نحو المراكز الروحية الإسلامية الأخرى , فسعى لربط مدينة /تواوون المقدسة إلي المدن والعواصم الإسلامية الكبرى في البلاد وخارجها. فقد أورد تلميذه محمد تابان في مؤلفه عن الشيخ بأنه شاهد - وهو مع الشيخ في تواوون -رسائل كانت تصل إلى جانب الشيخ من مدينة القدس الشريف .ولا نشك بأن الشيخ كان من ضمن أهداف سفره المبارك لأداء فريضة الحج في

عام 1889اغتنام فرصة التعارف مع العالم الإسلامي. ظلت (تواوون)معينا مقدسا للارتشاف الخلقي الجميل والارتقاء الروحيّ .

وبقدر ما تحتل مكانا بارزا في السنغال ومنطقة غرب إفريقيا باعتبارها قلعة لإشعاع الثقافة والحضارة الإسلامية. وفي إطار المدينة بالعالم الخارجي عمل على تطبيع العلاقات بين زواياه في السنغال وبين الزوايا الأخرى المماثلة في الخارج, وخاصة الزاوية التجانية الأم التي أسّسها القطب المكتوم والبرزخ المختوم الشيخ أحمد التجاني بمدينة فاس الشريفة في المغرب الشريف, فقال الشيخ في إحدى قصائده :

وكم أشتكي عند الإله زيارة
زواياه لكن العنان بقبضتي

ناهيك مثالا لما قلنا بأن الشيخ الحاج مالك سه رضي الله تعالى عنه جلب مجموعة من أهل العلم من بلاد الموريتانيا لتعليم العائلة وأهل المدينة, وكثيرا ما استقبل الشرفاء الوافدين من مدينة فاس أو من مدينة عين الماضي ، وما زالت ذريته المباركة تسير على هذا المنوال في استضافة وتكريم الزوار من آل الشيخ أحمد التجاني القطب المكتوم والبرزخ المختوم. ففي مدينة تواوون أعدّ الشيخ جيلا مسلحا بالقيم والشيم الفاضلة من أهل العلم والفقه والانضباط والمناعة الخلقية والروحية والصلاح والشجاعة والصدق والثقة بالنفس والثبات والصمود والتضحية, لكي يصبحوا في وقت لاحق حملة المشعل في نشر الدعوة الإسلامية وبالتالي لنشر قيم تحرير الشعب المستعمر المغلوب على أمره . وذلك عن طريق تنمية القوى العقلية والقدرات الفردية. الأمر الذي جعل الشيخ المربي يعتني بنواحي الفروق الفردية عناية ملحوظة. فتخرج من جامعته ذلك الجيل متنوعين في التخصص العلمي والممارسة في الميدان، فمن بينهم عالم تاجر أو عالم مزارع أو عالم أستاذ معلم أو عالم شاعر وكاتب أو عالم .جندي... . ولم تكن تتوفر هذه الصفات مجتمعة إلا في التربية الصوفية، وكان الشيخ في تلك الحقبة من الزمن يتميز بمنهج تربيته المتكاملة الجامعة بين الشريعة والحقيقة بدون إغفال واحدة عن الأخرى. فعيّنهم بعد مرحلة التربية إلى مناطق البلاد وخارجها ، واختار لكل عالم الوسط الاجتماعي الذي يلائمه .

فلا يخفى على أحد، بأن الشيخ الحاج مالك في تواوون قد جاهد كثيرا لإعلاء كلمة التوحيد في بيئة كانت حقلا مرتعا للاستعمار الفرنسي وجور السلاطين الوثنيين وطبقة (تيدو) البورجوازية المنعمة الميّالة إلى الراحة والدعة . ويعتبر بيت تلميذه الشيخ علي كي أصدق ما قيل في وصف حال البلاد أوان ظهور الشيخ الحاج مالك سه، من قصيدته لرثائه على وفاته في عام 1922م بقوله :

أَتَى وَبِقَاعُ السُّودِ جَوْرٌ وظلمة
فقام بِسَيْفِ الْهَمِّ بِالْحَقِّ مُجَرَّدِ.

فألف الشيخ الحاج مالك سه رضي الله عنه كتابه المشهور " كفاية الراغبين" ليكون مرجعا للراغبين في الإقلاع عن البدع والتحريف في الدين. ومن ناحية أخرى ألّف كتاب (إفحام المنكر الجاني) للدفاع عن التصوف السنّيّ .وقد عاش الشيخ عمره المبارك وهو يرتدي لباس الإمام الورع الذي لم يلجأ قط إلى تعاطي الرخصة، احتياطا، كما قيل: "وذو احتياط في أمور الدين من فر من شك إلى يقين". وقد أشار إلى هذه النقطة الهامة الخليفة العام للطريقة التجانية السيد الشيخ أحمد التجاني سي بأن الحاج مالك رضي الله عنه لم يعتمد على الولاية ولو مرة، بل راعى الأحكام الشرعية في جميع الظروف والمواقف. فقال في حقه:

وِلَايَتُهُ تَبقَى مَدَى الدَّهْرِ بِكْرَةً
تُصَانُ لَهَا الْأَسْرَارُ بَعْدَ ارْتِحَالِهِ.

ومن جانب آخر سعى لربط شخصية النبي صلى الله عليه وسلم بمشاعر وثقافة وتفكير المسلمين في البلاد وفي المنطقة مستخدما وسائل متعددة ومتنوعة ذات تأثير مباشر وغير مباشر, ونذكر من بين تلك الوسائل نموذج تأليف سليم وقيم المعاني, وهو عبارة عن موسوعة في السيرة النبوية الشريفة، ولم يعمل أحد مثله حتى لحظة تحرير هذا المقال فيما نعلم .ثم أدرجه ضمن الكتب المقررة للتدريس في مجالسه العلمية فتناقله الطلاب والعلماء في طول وعرض البلاد .ومن جانب آخر أقام ليلة الاحتفال لإحياء مولد النبي صلى الله عليه وسلم كلما هلّ شهر ربيع الأول ,تأسيا بسنة السلف الصالح .فظلت العيون ترنو والقلوب تشتاق والنفوس تتوق إلى مدينة /تواوون حرصا على الاستماع والاستمتاع بمراجعة ومدارسة حياة النبي صلى الله عليه وسلم والانتهال من روافد سيرته القدوة, من هنا تأتي بقعة /تواوون مدينة سباقة, بقدر كون احتفالها أهم وأكبر مهرجان ديني يقام في بلاد السنغال وفي المنطقة الغربية الإفريقية لتكريم نبي الإسلام سيدنا محمّد صلى الله عليه وسلم

ولم تثبت مرة قبل الشيخ الحاج مالك سه رضي الله عنه ذكرى سنوية للإحياء بمولد سيدنا محمد (عليه الصلاة والسلام) بالصورة المطابقة للشريعة الإسلامية. كما هي الحال في مدينته وفي المراكز التابعة لها.

بقلم الأستاذ عبد العزيز صار
مدرس في ثانوية خليفة أبابكر سي
بمدينة تواوون المحروسة

الرَّوْحُ والرَّيْحانْ

مرثية من البحر الكامل/ للأستاذ عبد العزيز صالح صار

فِي رَثاءِ فَقِيدِ المِلّةِ والأَوطانْ الشيْخ محمَّد المنْصُورِ سِه نَجْلِ الْخَلِيفَةِ فَرْدِ الزّمَانْ وَسِبْط مالِكِ بْنِ عُثْمانْ عَلَيْهِم رِضَا الرّحمانْ

إنا لله وإنّا إليه راجعون

قُلْتُ هذِهِ المَرْثِيةَ مِنْ بَحْرِ الكامِلِ لِلتّعْبِيرِ عَنْ مَشاعِرِ الأَسَى والحُزْنِ والأَلَمِ المُمِضِّ تَأَثُّرًا برحيلِ فقيد الملّة والأمّة والوطن، صاحب الخلافة التجانية الكبرى والوصيّة النفيسة البشرى ... مولانا الشيخ العلّامة والوسيلة الربانيّ الحاج محمّد المنصور سه الخليفة العام لطريقة التجانية, أسكنه الله فسيح جنّاته العليا بجوار والده الكريم الشيخ أبي بكر سه وجدِّه الصّميم الشيخ الحاج مالك سه رضي الله عنهم, مع الصّديقين والشّهداء والصالحين وحسُنَ أولئك رفيقا. والله على ما نقول وكيل:

يَا هَـــزَّةً بَزَلَـتْ عَـلَـى الْأَكْـــوَانِ ... بِـرَحِيلِ شَمْسِ الدِّينِ قُطْبِ زَمَانِ
يَا مَـــنْ أَتَى يَنْعَاهُ فُـهْتَ بِنَكْبَةٍ ... تَكْـوِي الْقُلُوبَ بِشُهْبَةِ النِّيرَانِ
يَا حَسْرَةً فِي النَّفْسِ ذَابَتْ مِنْ أَسًى ... وَتَحَطَّمَتْ مُنْهَارَةَ الْأَرْكَانِ
لَمَّا اشْـيِعَ بِنَعْيِـهِ تُهْنَا فَمَنْ ... يَقْوَى بِنَعْيِ الْعَارِفِ الرَّبَّانِي
شَيْخٌ تَرَبَّعَ فَوْقَ عَرْشِ دِرَايَةٍ ... وَوِلَايَةٍ فَهُمَا لَهُ سِمْتَانِ
قَدْ عَمَّتِ الْبَلْوَى الْبِلَادَ بِأَسْرِهَا ... فَبَكَى عَلَيْكَ الشَّعْبُ كَالْجِيرَانِ
قَدْ عِشْتَ شَيْخًا كَامِلًا وَمُرَقِّيًا ... عَلَامَةً يَعْلُو عَلَى الْأَقْرَانِ
قَدْ عِشْتَ دَهْرًا وَاصِفًا لِنَبِيِّنَا ... بِجَلَالِهِ وَجَمَالِهِ التُّورَانِي
دَافَعْتَ عَنْهُ كُلَّمَا قَدْ حَاوَلَتْ ... بِالنَّيْلِ مِنْهُ زُمْرَةُ الْعُدْوَانِ
يَبْكِي عَلَيْكَ الشَّعْبُ دَهْرًا كُلَّمَا ... حَضَرُوا لِذِكْرَى مَوْلِدِ الْعَدْنَانِي
دَرَسَ الْفُنُونَ أَجَادَهَا مُتَعَلِّمًا ... وَمُعَلِّمًا لِلشِّيبِ وَالْوِلْدَانِ
قَدْ عِشْتَ شَيْخًا لِلشَّرِيعَةِ نَاصِرًا ... وَخَلِيفَةً يُعْلِي لِوَا التِّيجَانِي
يَبْكِي عَلَيْكَ السُّودُ وَالْبِيضُ الْقَصِي ... يَبْكِي عَلَيْكَ عَشِيرَةُ الْعُثْمَانِ
وَغِيَابُ هَذَا الْغَوْثِ عَنَّا صَدْمَةٌ ... وَمُصِيبَةٌ لِلْجِنِّ وَالْإِنْسَانِ
أَنْتَ الَّذِي عَرَّفْتَ عَصْرَكَ بِالنَّبِي ... صَوَّرْتَهُ حَقًّا كَحَالِ عِيَانِ
شَيْخٌ يُفِيضُ مَعَارِفًا وَمَوَارِدًا ... وَلَطَائِفًا وَدَقَائِقَ الصَّمَدَانِي
وَغِيَابُهُ أَبْكَى الْمَشِيخَةَ مِثْلَمَا ... أَبْكَى الْمَسِيحَةَ وَذَوِي السُّلْطَانِ
عَلَمٌ تَسَامَى بِالْهِدَايَةِ وَالتُّقَى ... مُتَوَشِّحًا بِعَزِيمَةِ الشَّجْعَانِ
فَبَلِيَّةٌ لَحِقَتْ بِأُمَّةِ أَحْمَدٍ ... مَنْ مِثْلُهُ بِحَدِيثِهِ وَبَيَانِ
هَلَّا نَعَيْتَ قِرَاءَةً وَكِتَابَةً ... وَخَطَابَةً وَفَصَاحَةً بِلِسَانِ
هَلَّا نَعَيْتَ الْفِقْهَ وَالنَّحْوَ الَّذِي ... يَهْوَاهُ مِثْلَ الصَّرْفِ وَالْأَوْزَانِ
هَلَّا نَعَيْتَ بِمَنْطِقٍ أَوْ بِالْأُصُو ... لِ وَبِالتَّصَوُّفِ فَنِّهِ الْعِرْفَانِي
تَبْكِي عَلَيْكَ تِلَاوَةٌ وَتَدَبُّرٌ ... وَتَبَاحُثٌ بِمَسَائِلِ الْفُرْقَانِ
إِنَّ الْعُلُومَ مَعَ الْمُتُونِ تَوَحَّشَتْ ... حَزِنَتْ وَصَاحَتْ حَالَةَ الثَّكْلَانِ
هَلَّا نَعَيْتَ بَلَاغَةً وَقَوَافِيًا ... وَالشِّعْرَ وَالنَّثْرَ مَعَ السَّجْعَانِ
يَبْكِي عَلَيْكَ الْمُصْحَفُ مُتَأَوِّهًا ... فَسَرَتْهُ بِشَهَادَةِ رَمَضَانِ
قَدْ عِشْتَ شَيْخًا قُدْوَةً وَمُجَدِّدًا ... فِي الدِّينِ مَا انْدَرَسَتْ مِنَ الْبُنْيَانِ
أَفْنَيْتَ فِي الْخَيْرَاتِ عُمْرَكَ مَلْجَأً ... وَمَلَاذَ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْقُرْآنِ
وَمَلَاذَ مَهْضُومٍ وَطَالِبِ ثَرْوَةٍ ... ضَاقَتْ مَذَاهِبُهُ مِنَ الْحِرْمَانِ
كَمْ ذَاكِرٍ لَوْلَاكَ جُنَّ بِذِكْرِهِ ... وَمُوَثِّقٍ أَنْجَاهُ مِنْ شَيْطَانِ
وَمُوَاطِنٍ لِلسِّجْنِ سِيقَ بِتُهْمَةٍ ... خَلَّصْتَهُ مِنْ بَطْشَةِ الظُّلْمَانِ
بِعِنَايَةٍ قُصْوَى حَمَلْتَ خِلَافَةً ... حَافَظْتَهَا مُمْتَدَّةَ الْأَغْصَانِ
أَعْطَيْتَهَا الْأَغْلَى وَعُمْرُكَ كُلُّهُ ... أَنْفَقْتَهُ فِي الْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ

أَنْفَقْتَهُ فِي الذِّكْرِ لِلَّهِ وَالدُّعَا ... أَنْفَقْتَهُ فِي الْعَوْنِ لِلْإِنْسَانِ

هَلَّا نَعَيْتَ الْجُودَ وَالْوَعْظَ الَّذِي ... إِسْنَادُهُ بِالْحَقِّ وَالْبُرْهَانِ

هَلَّا نَعَيْتَ تَوَاضُعًا وَدِمَاثَةً ... وَبَشَاشَةً فِي الْوَجْهِ لِلْإِخْوَانِ

هَلَّا نَعَيْتُمْ بِالْحَفَاوَةِ كُلِّهَا ... وَشَهَامَةً تُوحِي بِهَا الْعَيْنَانِ

هَلَّا نَعَيْتَ أُخُوَّةً وَتَآلُفًا ... وَتَحَابُبًا فِي السِّرِّ وَالْإِعْلَانِ

إِنْ خَاضَ فِي لُجَجِ الطَّرِيقَةِ مَرَّةً ... أَبْدَى الشَّوَاهِدَ جُمْلَةً كَجُمَانِ

وَبَنَتْ خِلَافَتُكَ الشَّوَامِخَ إِنَّهَا ... سَعْيٌ وَآثَارٌ لِكُلِّ زَمَانِ

أَفْسَحْتَ آفَاقَ الدَّوَائِرِ مِنْبَرًا ... لِتَحَابُبٍ وَعِبَادَةِ الْمَنَّانِ

وَمَتَى أَتَوْا لِزِيَارَةٍ لَقَّنْتَهُمْ ... تَلْكَ الْوَصَايَا الْخَمْسَ[1] لِلْإِيمَانِ

رَبَّيْتَ جُمْهُورًا هُدَاةً جِلَّةً ... عُلَمَاءَ قَادَةَ قُطْرِهِمْ بِأَمَانِ

وَسَلَكْتَهُمْ بَعْدَ التَّعَلُّمِ فَتْرَةً ... فِي سِلْكِ أَهْلِ اللَّهِ بِالْعِرْفَانِ

حَتَّى غَدَتْ أَرْوَاحُهُمْ فِي نَشْوَةٍ ... مِنْ حُبِّ مَوْلَاهُمْ عَنِ الْغَفْلَانِ

إِنَّ الْمَحَاسِنَ جَمَّةٌ فِي عُمْرِهِ ... هَلْ مِنْ مُطِيقٍ ذِكْرَهَا بِلِسَانِ ؟

وَلَكَمْ بَعَثْتَ وُفُودَ حَجٍّ حِسْبَةً ... وَلَكَمْ أَقَمْتَ كَتَاتِبَ الْقُرْءَانِ

وَلَكَمْ مَنَحْتَ مَرَاكِبًا وَمَنَازِلًا ... وَلَكَمْ رَفَعْتَ مَسَاجِدَ الْآذَانِ

فَتُرَاثُ جَدِّكَ قَدْ بَكَى مُتَأَلِّمًا ... خَوْفَ الْجَفَا وَالْخَلْطِ وَالنِّسْيَانِ

وَخِلَاصُ جَدِّكَ قَدْ أَرَاقَ دُمُوعَهُ ... فَبَكَى صُرَاخًا مِثْلَ أَيِّ إِنْسَانِ

وَبَذَلْتَ جُهْدًا سَوْفَ يَبْقَى دَائِمًا ... كَزِرَاعَةٍ وَهِدَايَةِ الشُّبَّانِ

بَحْرٌ خِضَمٌّ لَا يُطَاقُ غِمَارُهُ ... فِي الْحِفْظِ وَالْأَسْرَارِ بِالْفَيْضَانِ

لَوْ كَانَ مَوْتُكَ يُفْتَدَى لَفَدَيْتُهُ ... لَفَدَاهُ آلَافٌ مِنَ السُّكَّانِ

وَبَكَى الْجَمِيعُ وَاجِمِينَ كَأَنَّهُ ... مَا غَابَ قَبْلَكَ عَارِفٌ رَبَّانِي

بِاللهِ مِثْلُكَ فِي الْأَنَامِ لَمُعْدَمٌ ... فِي كُلِّ أَرْضٍ حَلَّ فِي فِرْحَانِ

قَدْ خَصَّهُ الْمَوْلَى بِفَيْضِ كَرَامَةٍ ... لَدُنِيَّةٍ شَهِدَتْ بِهَا الثَّقَلَانِ

إِنْ قَالَ كُنْ كَمْ كَانَ فَاسْأَلْ مَنْ أَتَوْا ... يَشْكُونَ ضَائِقَةً مِنَ الْأَزْمَانِ

تِلْكَ الْمَوَاهِبُ عَانَقَتْ بِمَكَاسِبٍ ... شَخْصِيَّةٍ بِالْكَدِّ وَالْإِمْعَانِ

قَدْ كُنْتَ فِينَا رَاعِيًا وَمُوَجِّهًا ... وَأَبًا رَحِيمًا عَامِرًا بِحَنَانِ

بَلَّغْتَ يَا شَيْخَ الْمَشَائِخِ بِالْأَمَا ... نَةِ فَادْخُلَنْ مُتَنَعِّمًا بِجِنَانِ

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ يَفْعَلُ مَا يَشَا ... فِي مُلْكِهِ فِي سَائِرِ الْأَحْيَانِ

بَارِكْ لَهُ فِي الْأَهْلِ طُوِّلْ عُمْرَهُمْ ... وَاحْفَظْهُمُ بِعِنَايَةِ الدَّيَّانِ

بَارِكْ لَهُ اللَّهُمَّ فِي آثَارِهِ ... فِي سِتِّنَا الزَّهْرَاءِ وَالْإِخْوَانِ

يَحْيَوْنَ عُمْرًا بِالسَّلَامَةِ وَالْهَنَا ... وَالْأَمْنِ وَالتَّيْسِيرِ فِي الْمَيْدَانِ

طُوِّلْ بِعُمْرِ الشَّيْخِ حَامِلِ صَوْتِهِ ... وَأَمِينِهِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الثَّانِي

يَحْيَى مُعَافًى رَاعِيًا بِذِمَامِهِ ... مَعَ كَافَّةِ الْإِخْوَانِ وَالنِّسْوَانِ

وَيُخَفِّفُ عِبْءَ التِّجَانِي نَجْلِهِ ... وَذَوِيهِ مِثْلَ تَكَاتُفِ الْبُنْيَانِ

وَيُوَفِّقُ خَطْوَ الْخَلِيفَةِ مُنْجَزًا ... آمَالَهُ هُوَ أَحْمَدُ التِّجَانِي

مَوْفُورَ عُمْرٍ بِالْمَسِيرَةِ مَاضِيًا ... قُدُمًا إِلَى غَايَاتِهِ الرَّبَّانِي

يَا رَبِّ فَاجْزِلْ بِالثَّوَابِ لِمُحَمَّدِ الْـ ... مَنْصُورِ مَا طَلَعَتْ لَنَا الْقَمَرَانِ

أَلْهِمْ جَمِيعَ الْأَهْلِ صَبْرًا وَالْعَزَا ... ءَ مِنَ الْبَلَايَا رَبِّ فِي السَّلْوَانِ

يَا بَارَكَ اللهُ بِقَبْرِ مُحَمَّدِ الْـ ... مَنْصُورِ زَيْنِ الدِّينِ وَالْأَوْطَانِ

وَتَحُفُّ رَوْضَتَهُ الشَّرِيفَةَ رَحْمَةٌ ... مَوْصُولَةٌ بِالْيُمْنِ وَالرِّضْوَانِ

بِجِوَارِ وَالِدِهِ الْخَلِيفَةِ شَيْخِهِ ... مَعَ جَدِّهِ فِي الرَّوْحِ وَالرَّيْحَانِ

وَتُحَقِّقُ كُلَّ الْمُنَى مِنْ بَعْدِهِ ... لِعِيَالِهِ فِي الدِّينِ وَالْعُمْرَانِ

وَعَلَى النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى صَلَوَاتُهُ ... مَعَ آلِهِ وَصَحَابِهِ الْخُلَّصَانِ

مَا اشْتَاقَ عَبْدٌ لِلِّقَا بِحَبِيبِهِ ... وَتَسَاجَلَتْ طَيْرٌ عَلَى الْأَغْصَانِ

وَبَكَى الْحَمَامُ هَدِيلَهُ لَيْلًا عَلَى ... أَيْكٍ وَذَرَّفَ دَمْعَةَ الْأَحْزَانِ

مَا قَدْ رَثَى عَبْدُ الْعَزِيزِ بِشَيْخِهِ ... يَا هَزَّةً نَزَلَتْ عَلَى الْأَكْوَانِ

1 الوصايا الخمس إخذها عن والده الكريم: الشيخ إبوبكرسه (رض) وهي :الدّين، والطّريقة، والحرف، والدّوائر وزيارة مدينة تواوون المحروسة

مالك الميمية

تخفق القلوب في هذه الآونة وتتلهف شوقا وهياما واحتفالا بقدوم يوم مولد الحبيب، وتتهيأ قوافل الركبان وتتسارع وتيرة الأحداث والخطى في الشد والترحال نحو ربي تواوون، فإذا الذكريات كلها وإذا الأفئدة جلها تتوحّد وتتناغم في استقبالها وانتظارها لليلة العروبة، ليلة ازديان العالم الأرضي باستقبال صاحب السيرة العطرة والشمائل العبقة، وفي هذه الأجواء المشحونة بالذكريات وحيث شذا العطر المحمدي تفوح روائحها مُعَطّرةً ومُطيِّبةً فضاءات ومساحات هذه المدينة، التي أبت الإرادة الإلهية إلا أن تجعل منها بؤرة من بؤر تألق النور المحمدي في هذا الغرب الأقصى من القطر الإفريقي، تكاد صورة مالك -وهو يداعب الأخيلة ويعيد ترسيم مجرى حياة الرسول الأعظم بكلماته الناصعة في ميميته الذهبية- هي كل ما تستطيع إطفاء حرائق الحب والشوق المشتعلة في قلوب العاشقين للنور المحمدي، فمن مثل مالك !

لقد وقف شيخ الزوايا السنغالية يتأمل إشعاعات الأوسمة المحمدية المُضّمنة في قوله تعالى (وإنك لعلى خلق عظيم)، يقلب أوجهها المقولة والمفهومة، ويحدق ببصيرته النافذة في الهالة النورانية المحيطة بصاحب الحق الرباني، ويستقرئ العبر والدروس من كتب السيرة والتاريخ في الاقتفاء والتأسي بذي الخلق القرآني، ولقد جال وصال، وحام وغاص، وأفاق من غيبوبته الروحية ورجع إلى حالته الإنسية، مُختلَب البصر والبصيرة، مَفتُون اللُّبِ والفؤاد، مَأسُور القلم والمداد في الذات المحمدية، وهل يقدر من عايش الحقيقة؟ وارتوى من مناهل الكوثر المحمدي أقداحا وكؤوسا إلا البوح والإفصاح، فإذا بمالكنا - وكدأب الكرماء دائما- يجود لنا وبسخاء أريحي، بألف ونيف من الأبيات دررا يتيمة، وعّله بذلك يخفف عن كاهله ثقل الوديعة النبوية، وحمى الحرارة المحمدية في نفسه. فمن مثل مالك !

وفي وسط أرخى ستارُ الجهل سدوله، وأزبد وزمجر التيه والضلال في أركانه، فغدت الجاهلية والرعناء سِّيديْ الموقف، وتمكن التدين المغشوش من النفوس، ولامست كؤوس الراح شفاه الشاربين، ومورست الفاحشة سرا وعلنا، وعاد الدين غريبا ، يشكو من قلة ناصحيه، انبرى مالك "غَايَةَ" على ظهر جواده، حاملا ترسانته السلمية: كتاب وقلم وسبحة، يخترق بطلعته الناصعة حجب الظلام، ويبدد بتعاليمه جيوش الجهل والضلال، ويؤسس في القلوب والأفئدة محاريب نور وعلم، ستنتشر مستقبلا أضواؤها لتسطع على ربوع هذا القطر السنغالي، ماحقة ومزيلة عن طريقها كل تراكمات الجهل وخزعبلات الخرافات، فمن كمالك !

اختار لبني وطنه نموذجا أعلى، وقدوة مثلى، النبي الهاشمي ذا العلم اللدني، فصاغ سيرة حياته شعرا يماثل اللآلئ رونقا وبهاء، ويخجل في سبكه ونظمه دواوين الفطاحلة والجهابذة من أفذاذ ناطقي الضاد، وقد أوفى في خلاصه حياة النبي تناولا وحصرا، أودع في ثنايا سيرته حكما وعبرا، وضمنه علوما وفنونا، ولا تسأل عن مدى توفيقه وإصابته الهدف في اختياره المدخل الشعري الموزون المقفى لولوج واقتحام القلوب الظامئة والمتعطشة لري الأنوار المحمدية، فلقوة البيان وسِحْرِ المنطق العذب مفعولهما الأكيد والنَاجع في مخاطبة العقل والوجدان، وإذا أضيف إليهما الإيقاع النغمي الشجي المصحوب بانسجام القوافي وانتظام المعاني، فليس لمالك في هذا المضمار من ند في أسر القلوب؟

في السنغال بقراه وأريافه ناهيك عن مدنه وحواضره الممتدة شرقا وغربا، شمالا وجنوبا، وفي ليالي الله العديدة فيها، لا يكاد يوم أو ليلة تمر إلا وقد مرت معها مناسبة لإحياء سيرة سيد البشرية، يصدع فيها قارئو الأمداح النبوية والشمائل المحمدية بما تجود به قرائحهم النابهة وذواكرهم اليقظة من أحلى القصائد وأبدع القريض الشعري، في حق المقام المحمدي غناء ولحنا يأسران القلوب ويملكان الألباب، فإذا رفعت الحناجر بالشدو والإنشاد، وتليت على المسامع قصائد مالك، فكل ما كان لغير مالك صار ملكا لمالك ولقارئي ميميته، (أعني القلوب والجيوب) فأنى للناس من مثل مالك؟

لقد كان التحليق والدوران في فلك الأنوار المحمدية هو أقصى منية وأسمى بغية طَمِعَ إليها مؤرخو ومادحو النبي الأمي، وعلى قدر هممهم وصلابة عزيمتهم كانت درجة تألق أنجمهم الدائرة، وشدة توهُّج أنوارهم المقتبسة من هذا النور المحمدي، وإن من ضمن الله له رفعة الذكر وانحطاط الوزر، لن يَخْمُل قط ذِكرُ رافعه، أو يُحمَلَ وِزرٌ في سعيه ذاك، ومن خبئوا ذواتهم وأخفوا معالم شخصياتهم إبرازا وتجلية لذاته صلى الله عليه وسلم، جازاهم الله بحسن صنيعهم أضعاف ما عملوا، فالبصيري دفن سيرته إحياء لسيرة الرسول الأكرم، فجوزي برفع الاسم وبركة النظم، ومالك قال الألف وزيادة من الأبيات، ليؤلِّفَ القلوبَ سيرةَ الحبيب، فجوزي بتأليف قلوب القاصي والداني نحو تواونه، وكوفئ بجعله مالك القلوب في مواعيد المواليد النبوية في القطر السنغالي، فهل كمالك؟

أيا ابن فاطمة ليكفيك فخرا، أن أظهرت للدين محاسنه، وأن أعليك للهدى رايته، وملأت للسراج المنير سرادقه، وكان بك حريا أن تفاخر به النظائر والأتراب وما فعلت! فأنت مالك، وما مثل مالك بيسير!!

صمب أم جو